التاريخ الإسلامي

مواقف وعبر

(٤)

السيرة النبوية
العهد المدني
الجزء الأول

د. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي
الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين
بجامعة أم القرى

دار الأندلس الخضراء
للنشر والتوزيع
جدة

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

دار الأندلس الخضراء

حي السلامة - شارع عبد الرحمن السديري - مركز الزومان التجاري
ص.ب: ٤٢٣٤٠ - جدة: ٢١٥٤١ - هاتف/فاكس: ٦٨٢٥٢٠٩
المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكمل لنا هذا الدين وأتم نعمته علينا ورضي لنا الإسلام دينا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بلغ الأمانة وأدى الرسالة ، وجاهد في الله حق جهاده .

وبعد . . فهذا هو الجزء الرابع من كتاب (التاريخ الإسلامي - مواقف وعبر) وهو فاتحة العهد المدني ، ويشتمل على مواقف النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم التي جرت لهم بعد هجرتهم إلى المدينة النبوية ، وهي مواقف متعددة ، أبرزها المواقف الجهادية والإدارية والدعوية .

هذا وقد ذكرت في هذا الجزء والأجزاء التي بعده مما يتعلق بالعهد المدني شيئًا من الأخبار التي أخرجها محمد بن عمر الواقدي رحمه الله تعالى لكون جمهور العلماء قبلوا رواياته في المغازي ، وإن كان كثير منهم قد ردُّوا رواياته في السنة .

وقد كان للواقدي عناية خاصة بالمغازي ، ومما يدل على ذلك ما جاء في قوله : « ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا سألته : هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل ، فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعاينه ، ولقد مضيت إلى المُرَيسيع فنظرت إليها ، وماعلمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أعاينه [1] .

وكذلك ماروُي عن ابن منيع قال : سمعت هارون الفروي يقول :

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٦ ، عيون الأثر / ١٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكمل لنا هذا الدين وأتم نعمته علينا ورضي لنا الإسلام دينا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بلغ الأمانة وأدى الرسالة ، وجاهد في الله حق جهاده .

وبعد . . فهذا هو الجزء الرابع من كتاب (التاريخ الإسلامي - مواقف وعبر) وهو فاتحة العهد المدني ، ويشتمل على مواقف النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم التي جرت لهم بعد هجرتهم إلى المدينة النبوية ، وهي مواقف متعددة ، أبرزها المواقف الجهادية والإدارية والدعوية .

هذا وقد ذكرت في هذا الجزء والأجزاء التي بعده مما يتعلق بالعهد المدني شيئًا من الأخبار التي أخرجها محمد بن عمر الواقدي رحمه الله تعالى لكون جمهور العلماء قبلوا رواياته في المغازي ، وإن كان كثير منهم قد ردُّوا رواياته في السنة .

وقد كان للواقدي عناية خاصة بالمغازي ، ومما يدل على ذلك ما جاء في قوله : « ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا سألته : هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل ، فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعاينه ، ولقد مضيت إلى المُرَيسيع فنظرت إليها ، وماعلمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أعاينه [1] .

وكذلك مارُوي عن ابن منيع قال : سمعت هارون الفروي يقول :

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٦ ، عيون الأثر / ١٨ .

رأيت الواقدي بمكة ومعه ركوة [١] فقلت : أين تريد ؟ قال : أريد أن أمضي إلى حُنين حتى أرى الموضع والوقعة [٢] .

وكذلك ما رُوي عن إبراهيم بن إسحاق الحربي قال : سمعت المسَيَّبي يقول : رأينا الواقدي يوما جالسا إلى أسطوانة في مسجد المدينة وهو يدرُس ، فقلنا : أي شيء تدرس ؟ فقال : جزئي من المغازي ، وقلنا له يومًا : هذا الذي تجمع الرجال تقول : حدثنا فلان وفلان وجئت بمتن واحد ، لو حدثتنا بحديث كل واحد على حدة ، فقال : يطول ، قلنا له : قد رضينا ، فغاب عنا جمعة ثم جاءنا بغزوة أحد في عشرين جلدا ، فقلنا : رُدَّنا إلى الأمر الأول [٣] .

ونظراً لاهتمامه الدقيق بجمع أخبار المغازي ومعرفة تفاصيلها أثنى عليه العلماء من هذا الجانب ، يقول تلميذه وكاتبه محمد بن سعد عنه : وكان عالما بالمغازي واختلاف الناس وأحاديثهم [٤] .

ووصفه الإمام الذهبي بأنه إمام المؤرخين [٥] .

وكذلك وصفه الإمام ابن تيمية[٦] . وقد لخص الحافظ ابن حجر العسقلاني القول في قبول أخباره بقوله : والواقدي إذا لم يخالف الأخبار الصحيحة ولاغيره من أهل المغازي فهو مقبول عند أصحابنا [٧] .

---

(١) الركوة إناء من جلد يحمل به الماء .

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٦ ، عيون الأثر / ١٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٦٠ ، عيون الأثر / ١٨ .

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٥ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٤١ .

(٦) الفتاوى ٢/ ٤٤١ .

(٧) التلخيص الحبير ٢/ ٢٩١ .

مواقف وعبر
ما بين الهجرة وغزوة بدر

١- رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة

أخرج أبو عبد الله الحاكم من حديث أبي أمامة الباهلي عن أبي أيوب قال لما نزل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : بأبي أنت وأمي إني أكره أن أكون فوقك وتكون أسفل مني ، فقال رسول الله ﷺ : « إني أرفق بي أن أكون في السفليّ لما يغشانا من الناس » ، قال : فلقد رأيت جرة لنا انكسرت فأهريق ماؤها فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء فَرَقًا أن يصل إلى رسول الله ﷺ شيء يؤذيه .

قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي (١) .

وأخرجه ابن إسحاق من طريق أبي رهم السماعي عن أبي أيوب رضي الله عنه وذكر مثله (٢) .

وقد ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما نزل عن ناقته ، بادر أبو أيوب الأنصاري فاحتمل رحله فوضعه في بيته (٣) .

وهذا سبق من أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري إلى هذا الخير الكبير ، فحاز شرف نزول المصطفى ﷺ في بيته ، وقد ذكر ابن إسحاق

---

(١) المستدرك ٣/ ٤٦٠ - ٤٦١ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٥ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٢ .

قبل ذلك أن جميع الأنصار الذين مرَّ رسول الله ﷺ بدورهم كانوا يعرضون عليه النزول عندهم فيقول « خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة » يعني ناقته ، حتى وصلت إلى موضع مسجده فبركت فيه [(١)] .

وإنما قام به أبو أيوب الأنصاري من إكرام النبي ﷺ إلى الحد الذي ذكره في هذه الرواية يعتبر من مواقفه المأثورة رضي الله عنه .

وأخرج أبو عبد الله الحاكم بإسناده عن سماك بن حرب قال : سمعت جابر بن سمرة يقول : نزل رسول الله ﷺ على أبي أيوب ، وكان إذا أكل طعاما بعث إليه بفضله فينظر إلى موضع يد رسول الله ﷺ فيأكل من حيث موضع يده ، فصنع ذات يوم طعامًا فيه ثوم فأرسل به إليه، فردَّه رسول الله ﷺ ، فأتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله لم أر أثر أصابعك ! فقال : إنه كان فيه ثوم (قال شعبة) في حديثه : أحرام هو ؟ فقال رسول الله ﷺ : لا (وقال حماد) في حديث : يارسول الله بعثت إلي بما لم تأكل ؟ فقال : إنك لست مثلي إنه يأتيني الملك .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الإمام الذهبي [(٢)] .

وأخرجه ابن إسحاق من حديث أبي أيوب رضي الله عنه وذكر مثله [(٣)] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) المستدرك ٣/ ٤٦٠ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٦ .

وهذا مثل آخر من عناية أبي أيوب رضي الله عنه برسول الله ﷺ وحبه الكبير له ، فقد كان يتبرك بفضلته من الطعام .

وكونه ﷺ يُفْضل من الطعام دليل على أن السنَّة أن يأكل الإنسان قدر طاقته من الطعام ، وأن إبقاء شيء من الطعام لايعتبر جحوداً للنعمة ما لم يكن في ذلك سرف أو خيلاء .

* * *

٢ – مثل من زهد النبي ﷺ

(بناء بيوته في المدينة)

قال السهيلي رحمه الله تعالى : وأما بيوته عليه الصلاة والسلام فكانت تسعة بعضها من جريد مطين بالطين ، وسقفها جريد ، وبعضها من حجارة مرضومة بعضها فوق بعض مسقفة بالجريد أيضًا .

قال : وقال الحسن بن أبي الحسن [١] : كنت أدخل بيوت النبي ﷺ وأنا غلام مراهق فأنال السقف بيدي [٢] .

وذكر محمد بن يوسف الصالحي من طريق محمد بن عمر الواقدي عن معاذ بن محمد الأنصاري قال : سمعت عطاء الخراساني قال : أدركت حجر أزواج النبي ﷺ من جريد على أبوابها المسوح من شعر أسود ، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ ، يأمرنا بهدم حجر أزواج النبي ﷺ [٣] ، فما رأيت يومًا كان أكثر باكيا من ذلك اليوم .

قال عطاء : فسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ : والله لوددت أنهم تركوها على حالها ، ينشأ نَاشئٌ من أهل المدينة ويقدم القادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ في حياته ، فيكون ذلك مما يزهد الناس في التفاخر والتكاثر .

قال معاذ : وقال يومئذ أبو أمامة رضي الله عنه : ليتها تُركت فلم

(١) يعني الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى .

(٢) الروض الأنف ٤/ ٢٦٧ .

(٣) يعني لإضافة مكانها إلى المسجد النبوي .

تهدم حتى يفصل الناس عن البناء ويروا ما رضي الله تعالى لنبيه ﷺ ومفاتيح خزائن الدنيا بيده [1] .

وهكذا كانت بيوت النبي ﷺ في غاية البساطة بينما كانت المدينة تشتهر بالحصون العالية التي كان يتخذها علْيَةَ القوم تباهيًا بها في السلم واتقاء بها في الحرب ، وكانوا من تفاخرهم بها يضعون لها أسماء ، كما كان حصن عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول اسمه مزاحم ، وكما كان حصن حسان بن ثابت رضي الله عنه اسمه فارع .

ولكن النبي ﷺ بني بيوته بذلك الشكل البسيط جداً ، وكان باستطاعته أن يبني لنفسه قصوراً شاهقة ، ولو أنه أشار إلى رغبته بذلك مجرد إشارة لسارع الأنصار في بنائها له ، كما كان بإمكانه أن يشيِّدها من أموال الدولة العامة كالفيء ونحوه ، ولكنه ﷺ لم يفعل ذلك لأنه القدوة العليا لأمته في التواضع والزهد في الدنيا وجمع الهمة لعمل الآخرة .

* * *

---

(١) سبل الهدى والرشاد ٣/٣٤٨ - ٣٤٩ .

٣ - مثل من جهاد النفس وتحكيم العقل
(إسلام عبد الله بن سلام)

إن مواقف الصحابة رضي الله عنهم في نصرة الإسلام قد أخذت أشكالاً متعددة ، وإن إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه يتسم بطابع الانتصار في جهاد النفس وانتزاعها من سيطرة الهوى والتقليد الأعمى ، فقد كان عبد الله بن سلام من علماء اليهود وسادتهم ، فأيقن بأن الإسلام هو الدين الحق وعرف أنه الدين الذي بشر به أنبياء بني اسرائيل عليهم السلام ، فأظهر إسلامه وتحدى بذلك قومه من اليهود .

وكان من خبر إسلامه ما أخرجه الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى قال : « وكان من حديث عبد الله بن سلام - كما حدثني بعض أهله عنه وعن إسلامه ، وكان حبراً عالما - قال : لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له »(١) .

وهذا دليل على أن رسول الله ﷺ معروف بعينه لدى اليهود من الأوصاف التي كانت مبينَّة في التوراة والإنجيل ، وهذا من علامات نبوة رسول الله ﷺ البارزة ، قال تعالى في ذلك ﴿ **أولَم يكُنْ لهم آية أن يَعْلَمه علماء بني إسرائيل** ﴾(٢) .

« قال : فكنت مُسراً لذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر

(١) أي نتنظره .

(٢) الشعراء / ١٩٧ .

بقدومه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعْتُ الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبَّرت ، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري : خيَّبك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادمًا مازدت ، قال : فقلت لها : أي عمة هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بعث بما بعث به » .

يعني بذلك أنهما على دين التوحيد الذي بعث الله به جميع الرسول وإن اختلفت شرائعهم فيما يتعلق بتنظيم حياة الناس .

قال : فقالت : أيْ ابن أخي أهو النبي الذي كنا نُخْبَره أنه يُبعث مع نفس الساعة ؟ قال فقلت لها : نعم ، قال فقالت : فذاك إذاً .

وهذا دليل على أن بعثة النبي ﷺ معلومة لدى جميع اليهود ، وليست خاصة بعلمائهم ، وأنه يبعث قبيل الساعة ، وهذا موافق لقول رسول الله ﷺ « بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى » اخرجه الشيخان (١) .

« قال : ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا » (٢) .

(١) صحيح البخاري ، الرقاق رقم ٦٥٠٣ (١١/ ٣٤٧) صحيح مسلم ، الجمعة رقم ٨٦٧ (ص٥٩٢) .

(٢) قد جاء ذكر إسلام عبد الله بن سلام مجملا في هذه الرواية ، ولكنه جاء مفصلا في رواية الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه وفيها : فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني سائلكَ عن ثلاث لايعلمهنَّ إلا نبي : فما أوَّلُ أشراط الساعة ؟ وما أوَّل طعام أهل الجنة ؟ ومايَنزِعُ الولدُ إلى أبيه أو إلى أمه ؟ . =

قال : وكتمت إسلامي من يهود ، ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت له : يارسول الله إن يهود قوم بهت [1] وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك تغيِّبني عنهم ، ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي ، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني » .

وهذه شهادة من عالم كان من علماء اليهود تدل على مدى الانحدار الخلقي الذي آل إليه أمر اليهود ، حيث أصبحوا لاعهد لهم ولاذمة ، وإذا كانت هذه حال أسلاف اليهود وهم أقرب إلى عهد رسالتهم فكيف بخَلَفهم في هذا الزمن ؟ ! .

« قال : فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته ، ودخلوا عليه فكلموه وسألوه . ثم قال لهم : أيُّ رجل فيكم الحصين بن سلام [2] ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا [3] .

قال : فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت : يامعشر يهود

= قال : أخبرني بهنَّ جبريل آنفًا . قال : جبريل ؟ قال : نعم . قال : ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة . فقرأ هذه الآية ﴿ من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك ﴾ ، أما أول أشراط الساعة فنارٌ تحشُر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أولُ طعام أهل الجنة فزيادةُ كبد الحوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزعَ الولدُ ، وإذا سبقَ ماء المرأة نَزعت . قال : أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أنك رسول الله ، وسيأتي تخريجه في نهاية عرض هذا الخبر .

(١) يعني يفترون الكذب .

(٢) كان هذا اسمه قبل الإسلام .

(٣) جاء في رواية الإمام البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : « أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ما كان ليسلم ، قال : يا ابن سلام اخرج عليهم .

اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فو الله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته ، فإني أشهد أنه رسول الله وأوصي به وأصدقه وأعرفه ، فقالوا : كذبت ثم وقعوا بي [1] .

قال : قلت لرسول الله ﷺ : ألم أخبرك يارسول الله أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور ؟ » .

وهكذا تحقق ظنه فيهم وبقيت شهادة عليهم من أحد علمائهم الذين كانوا يعتبرونه من سادتهم .

« قال : فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي وأسلمتْ عمتي خالدة بنت الحارث فحسن إسلامها » [2] .

ومما يدل على أن اليهود كانوا يعرفون رسول الله ﷺ بعينه ، وأنهم تحققوا من أنه هو النبي المنتظر ما جاء في شهادة صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت : كنت أحَبَّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر لم ألقهما قط مع ولَد لَهُمَا إلا أخذاني دونه ، قالت : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ،

---

(١) يعني سبوه وشتموه .

(٢) سيره ابن هشام ٢/ ١٥٠ ، وقد أخرج الإمام البيهقي رواية ابن إسحاق من طريق عبد الله بن الأجلح عن محمد بن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله عن رجل من آل عبد الله بن سلام قال : كان من حديث عبد الله بن سلام . وذكر مثله - دلائل النبوة ٢/ ٥٣٠ - .

وأخرجه الإمام البخاري باختصار في صحيحه ، كتاب التفسير ، رقم ٤٤٨٠(٨/ ١٦٥) ، وقد قدَّمتُ رواية ابن إسحاق بالذكر لكونها أكثر تفصيلاً للواقع التاريخي للخبر ، وذكرت ما في رواية البخاري من الزوائد المفيدة .

ونزل قباء في بني عمرو بن عوف ، غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين [1] .

قالت : فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس ، قالت : فأتيا كالَّين ، كسلانين ساقطين ، يمشيان الهوينى قالت : فهششت لهما كما كنت أصنع ، فو الله ما التفت إليّ واحد منهما مع مابهما من الغم ، قالت : وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله ، قال : أتعرفه وتُثْبتُه ؟ قال : نعم ، قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله مابقيت [2] .

فهذا شاهد يدل على معرفة اليهود اليقينية برسول الله ﷺ ، وعلى ما جُبلت عليه قلوبهم من التنكر للحق واتباع الهوى .

أما عبد الله بن سلام رضي الله عنه فقد كان من القلائل الذين برئوا من هذه الصفات السيئة ، وعمرت قلوبهم بالتجرد والطهارة من الحقد والحسد ، فقد سارع إلى اعتناق الإسلام مع أنه كان سيداً من سادات اليهود ، ولم يمنعه مركزه في قومه من أن يدخل في الإسلام ويكون جنديًا من جنوده .

* * *

---

(١) يعني في وقت الغلس وهو ظلمة آخر الليل .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٥٣ .

٤ – مثل من دعوة رسول الله ﷺ
(الوثنيين من أهل المدينة)

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مُسلم الزُّهري ، عن عُروة بن الزبير ، عن أسامة بن زيد بن حارثة ، حبِّ رسول الله ﷺ ، قال : ركب رسول الله ﷺ إلى سعد بن عبادة يعوده من شكْو أصابه على حمار عليه إكاف[1] ، فوقه قطيفة فَدَكيّة مُختَطمة بحبل من ليف ، وأرْدَفني رسول الله ﷺ خَلْفَه ، قال : فمرّ بعبد الله بن أبيّ وهو في ظلِّ مُزَاحم أطُمه[2] .

قال ابن إسحاق : وحوله رجال من قومه ، فلما رآه رسول الله ﷺ تَذَمَّم[3] من أن يُجاوزه حتى ينزل ، فنزل فسلم ثم جلس قليلاً ، فتلا القرآن ودعا إلى الله عز وجل ، وذكَّر بالله وحذّر ، وبشر وأنذر ، قال : وهو زامٌّ[4] لايتكلم ، حتى إذا فرغ رسولُ الله ﷺ من مقالته ، قال : ياهذا إنه لا أحْسَن من حديثك هذا إن كان حقًا ، فاجلس في بَيْتك فمن جاءك له فحدِّثه إياه ، ومن لم يأتك فلا تغُتّه به[5] ولاتأته في مجلسه بما يكره منه . قال : فقال عبد الله بن رواحة في رجال كانوا عنده من

---

(١) أي برذعة وهي الوقاية بين الراكب والحمار .

(٢) أي حصنه ، قال ابن هشام : مزاحم اسم الأطم .

(٣) أي استنكف واستحيى .

(٤) أي فزع .

(٥) أي لاتغمه به .

المسلمين : بلى ، فأغشَنَا به وأُتتنا به في مجالسنا ودُورنا وبيُوتنا ، فهو والله مما نحبّ ، ومما أكرمنا الله به ، وهدانا له .

قال ابن إسحاق : وحدّثني الزُّهري عن عُرْوة بن الزّبير عن أسامة ابن زيد قال : وقام رسول الله ﷺ فدخل على سعْد بن عُبادة ، وفي وجهه ما قال عدوّ الله ابن أُبيّ ، فقال : والله يارسول الله إني لأرى في وَجْهك شيئًا ، لكأنك سَمعْت شيئًا تكرهه ، قال : أجل ، ثم أخبره بما قال ابن أُبيّ ، فقال سعدُ : يارسول الله ، ارفُقْ به ، فو الله لقد جاءنا الله بك ، وإنا لَنَنْظمُ له الخرز لنتوِّجَهُ ، فو اللّه إنه ليرى أن قد سلبته مُلْكا[1] .

هذه الواقعة جرت قبل أن يُظهر عبد الله بن أُبي الإسلام نفاقا وقد أظهر الإسلام بعد غزوة بدر كما سيأتي .

وكان ابن أُبيّ قبل إظهاره الإسلام يمثل زعامة بقية الوثنيين في المدينة من الأوس والخزرج .

ولما رآه النبي ﷺ جالسًا مع أصحابه اغتنم هذه الفرصة ودعاه ومن معه إلى الإسلام ، ولكن ابن أُبي كان لئيما مستكبرًا فأساء الرد على رسول الله ﷺ .

وكان ﷺ حليما صبورا حكيما حينما لم يرد عليه ، وقد تولى الرد عليه عبد الله بن رواحة ومن معه من المسلمين رضي الله عنهم حيث أظهروا السرور والاعتزاز بدعوة الإسلام .

* * *

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٨ - ٢٥٩ .

موقف لأسعد بن زرارة

(أول جمعة أقيمت بالمدينة)

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن أبي أمامة سهل بن حنيف عن أبيه أبي أمامة عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت قائد أبي ، كعب ابن مالك ، حين ذهب بصره ، فكنتُ إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلى على أبي أمامة [١] ، أسعد بن زرارة . قال : فمكث حينًا على ذلك : لايَسْمع الأذان للجُمعة إلا صَلّى عليه واستغفر له ، قال : فقلت في نفسي : والله إن هذا بي لَعَجْز ، ألا أسأله ماله إذا سَمع الأذان للجمعة صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة ؟ قال : فخرجتُ به في يوم جمعة كما كنت أخرج ، فلما سَمع الأذان للجمعة صَلّى عليه واستغفر له ، قال : فقلت له : ياأبت ، مالك إذا سمعتَ الأذان للجمعة صليتَ على أبي أمامة ؟ قال : فقال : أي بُنيّ ، كان أوَّلَ من جَمَّع بنا بالمدينة في هَزْم النبيت ، من حَرّة بني بَيَاضَة ، يقال له [٢] : نَقيع الخَضِمات ، قال : قلت : وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلا [٣] .

وهذا موقف يذكر لأسعد بن زرارة رضي الله عنه الذي كان من أبرز الدعاة إلى الإسلام في المدينة ، وكان من الستة الذين هم أول من أسلم في المدينة ونقلوا الإسلام إليها ، ومن الإثنى عشر الذين بايعوا بيعة

(١) يعني دعا له وترحم عليه .

(٢) يعني في مكان يقال له .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩ - ٥١ .

العقبة الأولى وفي بيته في المدينة نزل مصعب بن عمير رضي الله عنه الذي أوفده رسول الله ﷺ للدعوة في المدينة وإمامة أهلها ، وكان بعد ذلك من أبرز من حضروا بيعة العقبة الثانية ، وكان من النقباء الإثنى عشر الذين اختارهم رسول الله ﷺ ليكونوا مسئولين عن قومهم .

وموقف آخر لكعب بن مالك رضي الله عنه حيث ظل يذكر فضل أهل الفضل حتى أواخر حياته ، ويكرر ذكر أبي أمامة أسعد بن زرارة كل جمعة ويستغفر له ، وهذا دليل على عمق تخلقه بخلق الوفاء الذي يعتبر من أبرز الأخلاق التي يقوم عليها بناء الأمم .

* * *

٦ - المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

لما قدم النبي ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار ، فجعلَ كل واحد من المهاجرين أخًا لواحد من الأنصار .

وقد ذكر ابن إسحاق أسماء عدد من المهاجرين والأنصار الذين آخى بينهم رسول الله ﷺ (١) .

وأخرج ابن سعد من طريق شيخه الواقدي بأسانيده عن محمد بن إبراهيم التيمي ويحيى بن زيد بن ثابت وضمرة بن سعيد قالوا : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة آخى بي المهاجرين بعضهم لبعض ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، آخى بينهم على الحق والمواساة ، ويتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام وكانوا تسعين رجلاً ، خمسة وأربعون من المهاجرين ، وخمسة وأربعون من الأنصار ، ويقال : كانوا مائة ، خمسون من المهاجرين وخمسون كانوا من الأنصار (٢) ، وكان ذلك قبل وقعة بدر ، وأنزل الله تعالى ﴿ **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم** ﴾ [الأنفال/ ٧٥] . فنسخت هذه الآية ما كان قبلها وانقطعت المؤاخاة في الميراث ، ورجع كل إنسان إلى نسبه وورثه ذوو رحمه (٣) .

وأخرج الإمام أبو داود الطيالسي من حديث عكرمة عن ابن عباس

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٣٥ .

(٢) وهذا حسب ماروي من العدد ، ولايعني ذلك الحصر إذ أن المؤاخاة قد شملت كل المهاجرين مع أعدادهم من الأنصار .

(٣) طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٨ .

قال : آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه وورَّث بعضهم من بعض حتى نزلت ﴿ **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض** ﴾ فتركوا ذلك وتوارثوا بالنسب [(١)] .

وأخرجه الإمام الطبراني من طريق أبي داود الطيالسي بإسناده وذكر مثله [(٢)] .

وقال الحافظ الهيثمي عن إسناد الطبراني : رجاله رجال الصحيح [(٣)] .

وقد بين حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الأمور التي قامت عليها هذه الأخوة وذلك فيما أخرجه الإمام البخاري عنه في قول الله تعالى ﴿ **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيداً** ﴾[(٤)] أنه قال : ﴿ **ولكل جعلنا موالي** ﴾ قال : ورثة ﴿ **والذين عاقدت أيمانكم** ﴾ كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم فلما نزلت ﴿ **ولكل جعلنا موالي** ﴾ نَسَخت ، ثم قال : ﴿ **والذين عاقدت أيمانكم [فآتوهم**

---

(١) منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود ٢/ ١٩ رقم ١٩٥٢ .

(٢) معجم الطبراني ١١/ ٢٨٤ رقم ١١٧٤٨ .

(٣) مجمع الزوائد ٧/ ٢٨ .

(٤) النساء / ٣٣ .

نصيبهم] ﴾ [1] من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له [2] .

والرِّفادة هي الإعانة بالعطية [3] .

ومن هذه الرواية يتبين لنا أن الأمور التي عقدت من أجلها هذه الأخوة هي التوارث والنصر والرفادة والنصيحة بين المتآخين ، وأن التوارث نُسخ من استحباب الوصية للأخ بشيء من المال ، وبقيت الحقوق الأخرى .

ومن هذه المؤاخاة يتبين لنا مثل من الجهد الكبير الذي قام به رسول الله ﷺ في تثبيت دعائم ذلك المجتمع الإسلامي الناشيء في المدينة النبوية .

كما أن هذه المؤاخاة تشتمل على موقف مشكور من الأنصار رضي الله عنهم حيث رضوا بما يترتب عليها من التوارث مع أنهم هم أصحاب الأموال غالبًا .

ولقد رُويت أخبار رائعة لما جرى بين أفراد هؤلاء الإخوة من المواساة والإيثار والنصيحة والثقة .

---

(١) هذه الجملة من الآية ليست في رواية البخاري ، وهي في رواية الطبراني بنفس إسناد البخاري ولابد من إضافتها لأن قوله « من النصر » متعلق بـ (آتوهم) وليس بـ (عاقدت) ، انظر فتح الباري ٨ / ٢٤٩ .

(٢) صحيح البخاري ، التفسير ، رقم ٤٥٨٠ (٨ / ٢٤٧) .

(٣) فتح الباري ٨/ ٢٤٩ .

ومن أمثلة آثار هذه المؤاخاة في مجال التناصح ما أخرجه الإمام البخاري من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه قال :

آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذِّلة فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا . فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما فقال له : كل ، قال فإني صائم قال : ما أنا بآكل حتى تأكل قال : فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ، قال : نم ، فنام . ثم ذهب يقوم ، فقال نم . فلما كان آخر الليل قال سلمان قم الآن فصلَّيا . فقال له سلمان : إن لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه . فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال له النبي ﷺ صدق سلمان » [١] .

ومن أمثلة آثارها في مجال الثقة ماذكره ابن إسحاق رحمه الله من خبر بلال بن رباح رضي الله عنه قال : فلما دوَّن عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج إلى الشام فأقام بها مجاهدا ، فقال عمر لبلال : إلى مَنْ تجعل ديوانك يابلال ؟ قال : مع أبي رويحة [٢] لا أفارقه أبدا ، للأخوة التي كان رسول الله ﷺ عقد بينه وبيني ، فضُمَّ إليه ، وضُمَّ ديوان الحبشة إلى خثعم لمكان بلال منهم ، فهو في خثعم إلى هذا اليوم بالشام [٣] .

(١) صحيح البخاري ، الصوم رقم ١٩٦٨ (٤/ ٢٠٩) .

(٢) هو أبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي رضي الله عنه .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٣٨ .

وهذا دليل على عمق آثار هذه المؤاخاة حيث ظل بلال على ذكر لها بعد تلك المدية الطويلة .

ومن ذلك ما أخرجه الإمام البخاري من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال : لما قدموا المدينة [يعني المهاجرين] آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن [يعني ابن عوف] وسعد بن الربيع ، فقال لعبد الرحمن : إني أكثر الأنصار مالاً فأقسمُ مالي نصفين ، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمِّها لي أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها ، قال : بارك الله لك في أهلك ومالك ، أين سوقكم ؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن [1] .

فهذا نموذج من المواساة والإيثار ، وهو مثل لحياة حافلة بالأمثلة العالية التي قدَّمها الأنصار رضي الله عنهم .

* * *

(١) صحيح البخاري / مناقب الأنصار رقم ٣٧٨٠ (٧ / ١١٢) .

٧ – مواقف من إيثار الأنصار

حينما هاجر المهاجرون إلى المدينة النبوية لم يكن معهم مال يكفيهم لضرورات المعيشة فقام الأنصار بإيوائهم وإعاشتهم خير قيام ، وضربوا أمثلة عالية في إيثار المهاجرين على أنفسهم .

ولقد ذكرهم الله تعالى بالصفات العالية في القرآن الكريم فقال سبحانه ﴿ **والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ (١) .

أي والأنصار الذين اتخذوا المدينة مباءة لهم يعني مسكنا ثابتا ، والذين آمنوا بالإسلام وثبتوا عليه في المدينة قبل قدوم المهاجرين إليها ﴿ **يحبون من هاجر إليهم** ﴾ من إخوانهم أهل مكة وغيرهم من المسلمين .

ومن مظاهر حب الأنصار للمهاجرين أنهم قدموهم في الولاء والنصرة على حلفائهم من اليهود ، بل قدموهم على أقاربهم الذين لم يدخلوا في الإسلام .

ومن مظاهر هذا الحب أنهم تنازلوا لهم عن محبوبات الدنيا التي يتنافس الناس عليها عادة من الأموال والمساكن ونحو ذلك .

﴿ **ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا** ﴾ فإذا قدَّم النبي ﷺ المهاجرين بشيء من أمور الدنيا المعنوية كالولايات أو المادية كأموال الفيء

---

(١) الحشر / ٩ .

فإن الأنصار لايجدون في صدورهم أي شيء من التأثر والكراهية فضلاً عن الحسد ، وهذا دليل على كمال حبهم إياهم وطهارة قلوبهم نحوهم .

﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ يعني ويقدِّمون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم بمتاع الدنيا وإن كان هؤلاء الأنصار فقراء يحتاجون إلى ذلك المتاع .

إن الإيثار درجة أعلى من المواساة ، والأنصار قد واسوا إخوانهم المهاجرين بأنفسهم ، وزادوا على ذلك بأن آثروهم على أنفسهم بخير الدنيا ، وهذا شاهد على صدق محبتهم وقوة إيمانهم .

ولقد رُويت نماذج عالية من مواقف الأنصار في الكرم والمواساة والإيثار ، فمن ذلك ما أخرجه الإمام البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قالت الأنصار للنبي ﷺ : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل ، قال : لا ، فقالوا : تكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة ، قالوا : سمعنا وأطعنا [1] .

فهذا الحديث يفيد أن الأنصار عرضوا على النبي ﷺ أن يتولى قسمة أموالهم بينهم وبين إخوانهم المهاجرين ، وقد كانت أموالهم هي النخيل ، فأبى عليهم النبي ﷺ ، وأراد أمرا تكون فيه المواساة من غير إجحاف بالأنصار بزوال ملكية أموالهم منهم ، فقال الأنصار للمهاجرين : تكفوننا المؤونة - أي العمل في النخيل من سقيها وإصلاحها - ونشرككم في الثمرة ، فلما قالوا ذلك رأى رسول الله ﷺ أن هذا الرأي يضمن سد

---

(١) صحيح البخاري / المزارعة رقم ٢٣٢٥ (٥/ ٨) .

حاجة المهاجرين مع الإرفاق بالأنصار فأقرهم على ذلك فقالوا جميعًا : سمعنا وأطعنا .

وسيأتي في ثناء المهاجرين على الأنصار أن الأنصار قد قاموا بالمؤونة وأشركوا المهاجرين في الثمرة ، ولعل المهاجرين كانوا يساعدونهم في العمل ولكن كان أكثر العمل عند الأنصار .

ومن ذلك ما أخرجه الإمام البخاري من حديث خارجة بن زيد في بيان خبر عثمان بن مظعون ، وفيه أن الأنصار اقترعوا على سكنى المهاجرين [1] .

وهذا يفيد أن الأنصار قد تنافسوا على إسكان المهاجرين في بيوتهم ، وأنهم قد رضوا بالقرعة فيما بينهم .

ولقد أراد النبي ﷺ أن يكافيء الأنصار على تلك المكارم العظيمة التي قدموها لإخوانهم المهاجرين ، وقد أخرج الإمام البخاري في ذلك من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يُقطع لهم البحرين ، قالوا : لا ، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها ، قال : إمَّا لاَ فاصبروا حتى تلقوني فإنه سيصيبكم بعدي أثرة » [2] .

وهكذا ضرب الأنصار مثلا عاليًا في مواساة إخوانهم المهاجرين مع وجود ما يسوِّغ قبولهم ذلك الإقطاع الذي كان مكافأة لهم على ما سبق من تفضلهم وتكرمهم .

وكان شكر المهاجرين للأنصار عاليًا ، ولقد سجلوا ذلك بثنائهم

---

(١) صحيح البخاري / مناقب الأنصار ، رقم ٣٩٢٩ (٧/ ٢٦٤) .

(٢) صحيح البخاري / مناقب الأنصار ، رقم ٣٧٩٤ (٧/ ١١٧) .

عليهم عند النبي ﷺ ، وقد أخرج خبر ذلك الإمام أحمد من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال المهاجرون : يارسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير ، ولقد كفونا المؤونة وأشركونا في المَهْنأ [١] ، حتى لقد حسبنا أن يذهبوا بالأجر كله ، قال : لا ، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله عز وجل لهم [٢] .

وفي إشارة المهاجرين إلى الأجر الأخروي بين لعمق تصورهم للحياة الآخرة وهيمنة هذا التصور على تفكيرهم .

ولقد كان تكافل الأنصار فيما بينهم عظيما ، يبين ذلك ما أخرجه الإمام البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه « أن رجلاً أتى النبي ﷺ ، فبعث إلى نسائه ، فقلنَ : ما معَنا إلا الماء ، فقال رسول الله ﷺ من يَضُمُّ - أو يضيف - هذا ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا . فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ . فقالت : ما عندنا إلا قوت صبياني . فقال : هَيِّئي طعامَك ، وأصبحي سراجك ، ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءَ . فهيأت طعامها ، وأصبحت سراجها ، ونومت صبيانها ، ثم قامت كأنها تُصلح سراجها فأطفأته ، فجعلا يريانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويين . فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال : ضحك الله الليلة -أو عجب - من فعالكما . فأنزل الله ﴿ **ويُؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يُوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ [٣] .

---

(١) يعني كفونا العمل واشركونا في الثمرة .

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/ ٢٠٠ - ٢٠١ ، واخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه من حديث أنس بمثله - ٩ / ٦٨ رقم ٦٥٦١ .

(٣) صحيح البخاري ، فضائل الأنصار ، رقم ٣٧٩٨ (٧/ ١١٩) .

٨ – مثل من جهود النبي ﷺ وصحابته في جهاد المنافقين

قال محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى – بعد أن ذكر أسماء عدد من المنافقين– :

وكان هؤلاء المنافقون يحضُرون المسجدَ فيستمعون أحاديث المُسلمين ويَسْخَرون منهم ويَستهزئون بدينهم ، فاجتمع يومًا في المسجد منهم ناسٌ ، فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم ، قد لصق بعضهم ببعض ، فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد إخراجًا عنيفًا .

فقام أبو أيوب ، خالد بن زيد بن كليب ، إلى عمرو بن قيس ، أحد بني غنم بن مالك بن النجار – وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية – فأخذ برجله فسحبه ، حتى أخرجه من المسجد ، وهو يقول : أتخرجني يا أبا أيوب من مِرْبَد بني ثعلبة ! ثم أقبل أبو أيوب أيضًا إلى رافع بن وديعة ، أحد بني النجّار ، فلبّبه بردائه ثم نَتَره شديداً ، ولطم وجهه ، ثم أخرجه من المسجد وأبو أيوب يقول له : أفّ لك منافقًا خبيثًا ! أدْرَاجَك [١] يامنافق من مسجد رسول الله ﷺ .

وقام عُمَارة بن حَزم إلى زَيد بن عَمْرو ، وكان رجلاً طويل اللحية ، فأخذ بلحيته فقاده بها قَودًا عنيفًا حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عُمارة يَدَيه جميعا فَلَدَمَهُ بهما في صدره لَدْمة خَرّ منها [٢] ، قال :

(١) قال ابن هشام : أي ارجع من الطريق التي جئت منها .

(٢) قال ابن هشام : اللدم الضرب ببطن الكف .

يقول : خدَشْتني ياعُمَارة ، فقال : أبعدك الله يامنافق ، فما أعدّ الله لك من العذاب أشدَ من ذلك ، فلا تقربنْ مسجدَ رسول الله ﷺ .

وقام أبو محمد - رجل من بني النجّار ، كان بدريًا ، وأبو محمد مَسْعود بن أوْس بن زيد بن أصْرم بن زيد بن ثَعلبة بن غَنْم بن مالك ابن النجار - إلى قيس بن عَمْرو بن سَهْل ، وكان قَيْس غلامًا شابًا ، وكان لايُعْلَم في المُنافقين شابّ غيره ، فجعل يدفع في قَفاه حتى أخرجه من المسجد .

وقام رجل من بَلْخُدْرة بن الخْزرج ، رَهْط أبي سعيد الخدري ، يقال له : عبد الله بن الحارث - حين أمَر رسول الله ﷺ بإخراج المنافقين من المسجد - إلى رجل يُقال له : الحارث بن عمرو ، كان ذا جُمّة (١) ، فأخذ بجمته فسَحبه بها سحبًا عنيفًا ، على ما مرّ به من الأرض ، حتى أخرجه من المسجد . قال : يقول المنافق : لقد أغلظت يابن الحارث ، فقال له : إنك أهل لذلك ، أي عدوّ الله ، لما أنزل الله فيك ، فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ ، فإنك نجس .

وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زُوَيّ بن الحارث ، فأخرجه من المسجد إخراجًا عنيفًا وأففّ منه ، وقال : غلب عليك الشيطانُ وأمْرُه .

فهؤلاء من حضر المسجدَ يومئذ من المنافقين ، وأمر رسول الله ﷺ بإخراجهم (٢) .

---

(١) الجمة ما سقط من شعر الرأس على المنكبين .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٦٧ - ١٦٩ .

هذا الخبر يدل على انحطاط مستوى هؤلاء المنافقين في السلوك ، حيث كانوا يسخرون من المؤمنين ويهزؤون بهم .

وقد كان أمر النبي ﷺ بإخراجهم نوعا من جهادهم وتطهيراً للمسجد من عبثهم .

وإن ما قام به هؤلاء الصحابة من إخراج المنافقين من المسجد بعنف يعتبر شاهدا على قوة إيمانهم وإخلاصهم لدينهم حيث إن المنافقين المذكورين من قبائلهم ، فلم تأخذهم في الله لومة لائم .

*　*　*

٩ – موقف لرسول الله ﷺ في الحكم بما أنزل الله
(حكمه على اليهود بما في توراتهم)

أخرج مسلم بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال : مُرّ على النبي ﷺ بيهودي محمَّما [١] مجلودا فدعاهم النبي ﷺ فقال : «هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ قالوا نعم . فدعا رجلا من علمائهم [٢] فقال : « أنشدك بالله الذي أنزل التوارة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ » قال لا ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك نجده الرجم ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ، قلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله ﷺ « اللهم إني أول من أحيا أمرك إذْ أماتوه » فأمر به فرجم .

فأنزل الله عز وجل ﴿ **يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** ﴾ إلى قوله ﴿ **إن أوتيتم هذا فخذوه** ﴾ يقول : ائتوا محمدا ﷺ فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا فأنزل الله تعالى ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ [٥/ ٤٤] ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**﴾ [٥/ ٤٥] ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾ [٥/ ٤٧] في الكفار كلها [٣] .

---

(١) أي مسود الوجه كما ذكر صاحب القاموس .

(٢) هو عبد الله بن صوريا الأعور كما في رواية الطبري – تفسير الطبري ٦/ ٢٣٢ – .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، رقم ١٧٠٠ (ص ١٣٢٧) .

وهكذا عندما ضعف إيمان اليهود بدينهم رأوا أنه ليس بإمكانهم تطبيق حدود الله تعالى على جميع من يرتكبون الجرائم سواء كانوا أغنياء أو فقراء ، أقوياء أو ضعفاء ، فاصطلحوا فيما بينهم على حدود يمكن أن تقام على الأغنياء والأقوياء ، كما تقام على الفقراء والضعفاء ، وذلك كحد الزنى ، حيث أبدلوا الرجم بالجلد مع تسويد الوجه كما جاء في هذه الرواية .

وكان موقف رسول الله ﷺ منهم في هذا التلاعب بشريعة الله قويا حازما حيث قال : « اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه » وأمر بذلك الزاني فرجم .

وهكذا ضرب النبي ﷺ لأمته مثلاً عاليًا في تطبيق حدود الله تعالى على الكبير والصغير .

* * *

١٠ – مثل من مقدرة النبي ﷺ على إخماد الفتنة وموقف للأنصار بالسمع والطاعة

حينما انتشر الإسلام في المدينة وهاجر إليها رسول الله ﷺ ، والتفَّ حوله المؤمنون من الأنصار إلى جانب إخوانهم المهاجرين ، وتكوَّن منهم مجتمع إسلامي متماسك غاظ ذلك اليهود ، وعرفوا أنهم لايستطيعون مقاومة المسلمين بالقوة ، فقد كانوا يعلمون عجزهم قبل ذلك عن التغلب على الأوس والخزرج لو فُرض أنهم اجتمعوا ، فكيف بهم وقد اجتمعوا وانضم إليهم المهاجرون ، فلجئوا إلى سلاحهم القديم الذي تفننوا فيه ونجحوا في تفريق القبائل والأمم بواسطته وهو سلاح الغزو الفكري .

وقد تفتق ذهن أحد شيوخهم الكبار في السن عن حيلة هدف بها إلى تفريق مجتمع الأنصار ، وذلك بإثارة العصبية القبلية بينهم ليعودوا إلى جاهليتهم ، فتعود الحروب بينهم كما كانت ، ويخسر النبي ﷺ بذلك أقوى أنصاره ، وفي بيان هذا الخبر يقول محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى :

ومَرَّ شأس بن قَيْس وكان شيخًا قد عسا [١] ، عظيم الكُفْر شديد الضِّغن على المسلمين ، شديد الحَسد لهم ، على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج ، في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من أُلفتهم وجماعتهم ، وصلاح ذات بينهم على الإسلام ،

---

(١) أي كبرت سنه .

بعد الذي كان بينهم في الجاهلية . فقال : قد اجتمع مَلأ بني قيلة [١] بهذه البلاد ، لا والله مالنا معهم إذا اجتمع مَلَؤُهم بها من قرار ، فأمر فتى شابًا من يهود كان معهم ، فقال : اعْمِدْ إليهم ، فاجلس معهم ثم اذكر يوم من بُعاث وماكان قَبله ، وأنْشدهم بعض ماكانوا تَقاولوا فيه من الأشعار .

وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج ، وكان على الأوس يومئذ حضير بن سماك الأشهلي ، أبو أُسَيد بن حضير ، وعلى الخزرج عمرو بن النُّعمان البَياضي ، فقُتلا جميعًا .

قال ابن إسحاق : ففعل ، فتكلم القومُ عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى توائب رجلان من الحيّين علي الرُّكب : أوس بن قَيْظى ، أحد بني حارثة ابن الحارث ، من الأوس ، وجبّار بن صخر ، أحد بني سَلمة من الخزرج ، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رَدَدْناها الآن جذَعة [٢] ، فغضب الفريقان جميعًا وقالوا قد فَعَلْنَا ، موعدكم الظاهرة - والظاهرة : الحرّة - السَلاحَ السّلاحَ ، فخرجوا إليها .

فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم ، فقال : يامعشر المسلمين ، الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به ،

---

(١) هي أم الأوس والخزرج ، اللّذين ينتسب إليهما الأنصار ، والنسبة إلى الأم تعني شيئًا من التحقير عند العرب .

(٢) أي رددنا الحرب فتية قويه .

وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألّفَ به بين قلوبكم ؟ .

فعرف القومُ أنها نزغة من الشيطان ، وكيدٌ من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجالُ من الأوس والخزرج بعضهم بعضًا ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدوّ الله شأس ابن قيس .

فأنزل الله تعالى في شأس بن قيس وماصنَع : **﴿ قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيدٌ على ما تعملون ، قل : يا أهل الكتاب لم تَصُدون عن سبيل الله من آمن تَبغونها عوجًا وأنتم شُهداء وما الله بغافل عما تعملون ﴾** [1] .

وأنزل الله في أوس بن قيظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا عمّا أدخل عليهم شأسُ من أمر الجاهلية : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تُطيعوا فريقًا من الذين أتوا الكتاب يَرُدُّوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تُتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾** إلى قوله تعالى **﴿ وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾** [2] .

---

(١) آل عمران / ٩٨ - ٩٩ .

(٢) يعني قوله تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بي قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون=

فهذا الخبر فيه موقفان :

الموقف الأول : في اهتمام النبي ﷺ بأمور المسلمين وإشفاقه عليهم ، وفزعه مما يصيبهم من الفتن والمصائب ، فقد أسرع في الحضور إلى هؤلاء الأنصار الذين ثارت بينهم العصبية القبلية ، وذكَّرهم بالله تعالى الذي هداهم من الضلالة ، وجمعهم بعد الفرقة .

والغالب على هؤلاء الصحابة أنهم - وقد تقابلوا في الميدان - قد غاب عن قلوبهم استحضار عظمة الله تعالى ورقابته عليهم ، لأن من عُمر قلبه بذكر الله جل وعلا فإن سلوكه يكون منبثقا من الخضوع له تعالى ، بفعل أوامره والتماس رضاه ، واجتناب نواهيه والبعد عن سخطه ، فكانت أول كلمة قالها رسول الله ﷺ « الله الله » أي تذكروا عظمة الله وجلاله ، وأخضعوا تصرفاتكم لما يحبه ويرضاه .

ثم ذكرهم بأن الأمر الذي أقدموا عليه هو من دعوى الجاهلية ، وأنكر عليهم أن يُقدموا على ذلك مع وجوده بينهم ، وهذا يعني أنه إذا فعلتم هذا المنكر مع وجودي بين ظهرانيكم فكيف الحال مع عدم وجودي بينكم ؟ ! .

ثم ذكَّرهم بالإسلام . . هذا الدين العظيم الذي هداهم الله تعالى إليه ، والذي هو أغلى قيمة يمكن تصورها في الحياة . . إن الناس بدونه أشبه شيء بالبهائم ، بل قد يكونون أضل منها ، فلذلك ذكر النبي ﷺ

=بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ ال عمران / ١٠٠ - ١٠٥ ، سيرة ابن هشام ٢/ ٢١١ - ٢١٤ .

امتنانُ الله جل وعلا عليهم بهذا الدين وإكرامهم به ، حيث رفعهم به إلى أعلى درجات الإنسانية .

ثم ذكَّرهم بما يتعلق بموضوعهم من فضائل الإسلام ، فقد قطع الله تعالى به عنهم أمر الجاهلية بما فيها من عداوة وحروب انتقامية ، وأنقذهم به من الكفر الذي يعتبر انحرافا عن الهدف الأعلى الذي خُلق الإنسان من أجله ، وانحطاطا إلى درجة إبليس وجنوده من الشياطين ، كما ذكَّرهم بنعمة التأليف بين قلوبهم بهذا الدين . . هذه المعجزة التي لم يستطيعوا الوصول إليها قبل ذلك . فكيف بعد هذا كله ينسون هذه النعم العظيمة ، ويهيمن على قلوبهم التعصب لأمور الجاهلية التي أنقذهم الله منها ؟ ! .

وبعد هذا التذكير العظيم الذي تركز في كلمات معدودات سرت في كيان أولئك الصحابة روح جديدة مسحت كل أثر لأمر الجاهلية ، وشعروا بأنهم قد ارتكسوا قبل ذلك في ظلمة حالكة وأشفوا على هلاك محقق ، فأنقذهم الله تعالى بكلمات نبيه ﷺ العالية المعبرة ، وروحه القوية المؤثرة ، وهيئته الوثابة المنذرة ، فنزعوا عما هم فيه فورا ، وأدركوا أن ما وقعوا فيه كان من وساوس الشيطان وكيد عدوهم من اليهود ، فبكوا ندمًا على ما قارفوا من الإثم ، وعانق بعضهم بعضا ، تعبيراً عن زوال كل دَرَن طرأ على قلوبهم .

إن بكاء الرجال حدث جليل ، وخصوصًا إذا صدر من مثل هؤلاء الأبطال الذين يندفعون إلى الحرب بمثل هذه السرعة ، فإن الدمع عند هؤلاء وأمثالهم عزيز ، لأن نفوسهم قد تشكلت على حب البطش

والانتقام ، لولا ما كان من تهذيب الإسلام والتربية النبوية ، فإذا بكوا فإنما يكون بكاؤهم لأمر جسيم هيمن على مشاعرهم ، وحوّل ما كان في قلوبهم من القساوة وحب الانتقام إلى لين ولطف وأحاسيس جياشة نحو الود والصفاء .

ومن هنا ندرك عظمة الرسول ﷺ ومقدرته الخارقة في الإقناع ، وتغيير المشاعر ، وتحويل الاتجاهات الشريرة فوراً إلى اتجاهات نحو الخير والصلاح .

الموقف الثاني : موقف أولئك الصحب الكرام من الأنصار الذين سارعوا إلى الأوبة والتوبة ، واقتلعوا وساوس الشيطان من جذورها ، ووضعوا عصبية الجاهلية تحت أقدامهم ، فما أن رأوا رسول الله ﷺ وسمعوا كلامه حتى تحوّلوا إلى أناس من نوع آخر ، وهجمت على مشاعرهم بسرعة فائقة أحاسيس الرحمة والمودة ، فنكسوا أسلحتهم إجلالاً لرسول الله ﷺ ولشرف الكلام النوراني الذي سمعوه، وجرت بينهم مظاهر الأخوة الفائقة، والمحبة الصادقة، ورجعوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين .

إن تراجع هؤلاء الصحابة عن أفكارهم وقناعاتهم بهذه السرعة دليل على تجرد قلوبهم من اتباع الهوى ، وعمرانها بتوحيد الله تعالى والإخلاص له ، وإن ما طرأ عليهم إنما كان استجابة لغضب مهيمن سرعان ما انقشع بسماع الموعظة المؤثرة فتغير سلوكهم فوراً ، لأن قلوبهم كانت معمورة بالتجرد والصفاء رضي الله عنهم جميعًا .

* * *

١١ - مواقف لرسول الله ﷺ في بناء المجتمع الإسلامي
(صحيفة المعاهدة بين أهل المدينة)

قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار ، وادَعَ فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبيِّ ﷺ ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويَثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس .

المهاجرون من قريش على ربعتهم ، يتعاقلون بينهم [١] ، وهم يَفْدون عانَيهم [٢] بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو عَوْف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكلّ طائفة تَفْدي عانيها بالمعروف والقسط بي المؤمنين .

ثم ذكر فروع قبيلتي الأوس والخزرج على نحو ماذكر في المهاجرين إلى أن قال : وإن المؤمنين لايتركون مُفْرحًا [٣] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل .

وأن لايحالف مؤمنٌ مولى مؤمن دونه وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دَسيعة ظلم ، أو إثم ، أو عدوان ، أو فساد بين

(١) جاء في النهاية لابن الأثير « على رباعتهم » وقال : أي يكونون على ماكانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها ، ويتعاقلون أي يدفعون العقل وهو الدية - النهاية ٣/ ٢٧٩ - وكذلك جاءت « على رباعتهم » في رواية الزهري - الأموال لابن زنجويه ١/ ٤٦٧ - .

(٢) أي أسيرهم .

(٣) قال ابن هشام : المُفرَح المثقل بالدين الكثير العيال .

المؤمنين [١] ، وإن أيديهم علي جميعًا ، ولو كان ولَدَ أحدهم .

ولايَقْتل مؤمنٌ مؤمنًا في كافر ، ولاينصر كافرًا على مؤمن وإن ذمة الله واحدة يُجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس [٢] .

وإنه من تَبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولامُتَناصر عليهم .

وإن سلْم المؤمنين واحدة ، لايسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم [٣] .

وإن كلّ غازية غزت معنا يُعقب بعضُها بعضا ، وإن المؤمنين يُبيء بعضُهم عن بعض [٤] بما نال دماءهم في سبيل الله .

وإن المؤمنين المتقين على أحس هدي وأقومه ، وإنه لايجير مشرك مالاً لقريش ولا نفسًا ، ولايحول دونه على مؤمن ، وإنه من اعتبط مؤمنًا قتلا عن بَيّنة فإنه قَوَدٌ به [٥] إلا أن يرضي وليّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولايحل لهم إلا قيامٌ عليه .

(١) الدَّسيعة هي العطية ، وتطلق على دفع المكروه أي منْ طلب عطية أو دفع مكروه على وجه الظلم والإثم والعدوان والفساد- النهاية ٢/ ١١٧ .

(٢) أي يتولى بعضهم بعضا بالمحبة والنصرة دون سائر الناس .

(٣) أي أنه لايجوز أن يتولى فرد أو أفراد من المسلمين قضايا السلم مع الأعداء ، بل إن هذا الأمر من شأن جماعة المسلمين وإمامهم .

(٤) يعني أن دماءهم متكافئة ، يقال باء الرجل بصاحبه إذ قتل به كفؤا - عيون الأثر ١/ ٩ .

(٥) أي من قتل مؤمنا بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله فإن القاتل يقاد به فيقتل - النهاية ٣/ ١٧٢ .

وإنه لايحلّ لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر مُحْدثا ولايُؤْويه ، وإنه مَن نصره أو آواه ، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولايؤخذ منه صَرف ولاعدل [١] ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإنّ مردّه إلى الله عزّ وجل ، وإلى محمد ﷺ .

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم ، فإنه لايوتغ إلا نفسه وأهل بيته [٢] .

ثم ذكر يهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشطبية وأن لهم ما ليهود بني عوف ، إلى أن قال : وإن البر دون الإثم ، وإن موالي ثعْلبة كأنفسهم ، وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لايخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ ، وإنه لاينحجز على ثأر جُرْح [٣] وإنه من فَتك فبنفسه فتك ، وأهل بيته ، إلا من ظُلم وإن الله على أبرّ هذا .

وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصّحيفه ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم .

(١) تقدم أن الصرف التوبة ، والعدل الفدية وقيل الصرف الفريضة والعدل النافلة ، والأول أقرب .

(٢) أي لايهلك إلا نفسه وأهل بيته .

(٣) الجرح الإصابة والهزيمة ، والمقصود النهي عن التمسك بثأر الجاهلية .

وإن اليهود ينفقون مع المومنين مادموا محاربين وإن يثرب حرامٌ جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مُضارّ ولا آثم ، وإنه لاتجار حُرمة إلا بإذن أهلها .

وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فساده فإنّ مَرَدَّه إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى محمد رسول الله ﷺ ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه .

وإن لاتُجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على مَنْ دَهَم يثرب ، وإذا دُعوا إلى صلح يصالحونه ويَلْبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دَعَوْا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا مَن حارب في الدين ، على كلّ أناس حصَّتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وإن يهود الأوس ، مواليهم وأنفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البَرِّ المحْض من أهل هذه الصحيفة (١) .

وإن البرّ دون الإثم ، لايكسب كاسبٌ إلا على نفسه وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه ، إنه لايحول هذا الكتابُ دون ظالم أو آثم ، وإن الله جار لمن برّ واتقى ، ومحمد رسول الله ﷺ (٢) .

---

(١) قال ابن هشام : ويقال : مع البَرّ المحسن من أهل هذه الصحيفة . وماذكره ابن هشام أوضح في المعنى ، وقد جاء كذلك في رواية الزهري - الأموال لابن زنجويه - ١/ ٤٧٠ - .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٣٠ - ١٣٤ .

وقد ذكر هذه الصحيفة ابن سيد الناس - عيون الأثر ١/ ١٩٧ . وابن كثير - البداية والنهاية ٣/ ٢٢٣ - ٢٢٤ .

=

وبعد : فهذا كتاب عظيم اشتمل على قضايا كثيرة بالغة الأهمية في النواحي الاجتماعية والسياسية والإدارية والجهادية وسأقف وقفات سريعة مع بعض فقرات هذه الصحيفة لالتماس بعض المواقف النافعة .

١ - قول الرسول ﷺ عن المسلمين من أهل المدينة « إنهم أمة واحدة من دون الناس » فالمسلمون أمة متميزة على جميع الناس في جميع نواحي الكمال البشري .

أمة موحِّده يعبدون إلها واحدا جل جلاله . . بينما يتخبط الناس في متاهات من الشرك والحيرة والضلال .

أمة تمتاز بأهدافها العالية ، ومناهجها القويمة . . يتنافس أفرادها على أعمال الآخرة ، ويسخِّرون دنياهم لآخرتهم ، بينما يتنافس الناس على دنياهم .

٢- « وإن المؤمنين لايتركون مُفْرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل » فهم لايتركون المُثْقَل بالديون كثير العيال يصارع مشكلاته وحده ، ويوزع فكره بين همِّ سداد الدين ، وهمِّ الإنفاق على العيال ، بل يسارعون إلى مد أيديهم إليه لسداد دينه ، والرفع من مستواه المعيشي ، ويتنافسون على هذا المطلب النبيل .

= وقد أخرجها كل من أبي عبيد القاسم بن سلام وحميد بن زنجويه في كتابيهما - الأموال لأبي عبيد / ٩٤رقم ٥١٧ ، الأموال لابن زنجويه ، تحقيق الدكتور شاكر فياض ٢/ ٤٦٦ رقم ٧٥٠ . وقد ذكر هذه الصحيفة الدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه « المجتمع المدني في عهد النبوة » ص ١٠٧ ، فأجاد في تحقيقها وأفاد وردَّ على من حكم عليها بأنها موضوعة .

٣ - « وإن المؤمنين المتقين على من بَغَى منهم أو ابتغى وسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعًا ولو كان ولد أحدهم » .

فالمؤمنون وصف عام يشمل من وُجد عندهم أصل الإيمان وإن لم يكن مؤثرًا على سلوكهم تأثيرًا قويًا ، بينما المتقون هم الذين بلغ عندهم الإيمان درجة التأثير القوي على سلوكم ، فَتكَوَّن عندهم وازع ديني يدفعهم إلى امتثال الواجبات واجتناب المنهيات ، وهؤلاء هم الجديرون بأن يُلقَى عليهم هذا التوجيه النبوي الكريم .

فهؤلاء المتقون يد واحدة على من بغى منهم فجاوز حدود الاستقامة ، إما بفعل مباشر منه أو بطلب شيء لا يحل له من عطية مال أو حق معنوي يكون فيه ظالما معتديًا على غيره مفسدًا بذلك مجتمع المؤمنين ، فإن أيدي هؤلاء المؤمنين المتقين تتحول إلى يد واحدة تأخذ على يد الظالم ولو كان من ابنائهم حتى تردَعَه عن الظلم .

٤ - « ولا يَقتُل مؤمن مؤمنا بكافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن » .

وفي هذا بيان واضح لحرمة المسلم وقيمته الكبرى ، فهو إنسان كغيره من حيث التكوين ، ولكنه حينما يحل الإيمان في قلبه يتبدَّل إلى إنسان آخر .

إنه يحمل الجوهرة العظمى التي لامثيل لها في حياة الناس ، وهل أعظم من أنه قد انفتح له الطريق النوراني الذي بينه وبين الله تعالى ؟ ! .

فمهما كانت عظمة الكافر في عرف أهل الدنيا فإن دمه لا يكافيء أدنى فرد مسلم .

ولايجوز لمؤمن أن ينصر كافرا على مؤمن ، لأن ذلك يُخل بعقيدته التي من أصولها الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين .

٥ - « وإن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين موالي بعض دون الناس » .

فأمر المؤمنين واضح لكبيرهم وصغيرهم ، لأنهم إنما ينفذون شريعة الله تعالى ، وهي معلومة لكل من يدخل في مجال الجهاد فيما يتعلق بأمور السلم والحرب ، ولاتتغير بتغير الأمير أو القائد ، وإنما تنقسم إلى أمور واضحة لكل أفراد المسلمين المشاركين في الجهاد ، وأمور فيها غموض ، فهي تحتاج إلى اجتهاد من علماء الدين ، فإذا كانت في الأمور الواضحة فإن الحديث عنها لايختلف سواء تحدث بها أكابر المسلمين أو أصاغرهم .

ومن هذا المنطلق استطاع ربعي بن عامر أن يحدِّد لقائد الفرس رستم مدة الهدنة يوم القادسية ، وأن ينذره بالحرب في موعد معين مع أن ربعي بن عامر ليس أمير الجيش ولا من قادته ، وإنما هو موفد إلى جيش الفرس ، حيث قال لرستم : إن مما سنَّ لنا رسول الله ﷺ وعمل به أئمتنا أن لانُمكِّن الأعداء من آذاننا ولانؤجِّلَهم عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فنحن مترددون عنكم ثلاثا ، فانظر في أمرك وأمرهم . . إلى أن قال : أنا كفيل لك بذلك عن أصحابي وعلى جميع من ترى ، قال : - يعني رستم - : أسيّدهم أنت ؟ قال : لا ، ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض ، يجير أدناهم على أعلاهم[1] .

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٥٢٠ .

فقول ربعي « يجير أدناهم على أعلاهم » مأخوذ مما جاء في هذه الصحيفة .

وهذا لايعني أن يُقَرِّر فرد أو أ فراد من المسلمي قضايا السلم أو الحرب مع الأعداء بمقتضى رأيه أو آراء أفراد آخرين ، والذي تم من ربعي ابن عامر كان تطبيقا لسنة رسول الله ﷺ ، وإذ لم يكن في الأمر نص شرعي فإن الأمر يكون بالشورى بين القائد وأهل الحل والعقد لأن ذلك يحتاج إلى نظر من أهل العلم والرأي ، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ في هذه الصحيفة « وإن سلْم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم » .

٦ - « وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولايحل لهم إلا قيام عليه » .

وبهذا أقر النبي ﷺ قواعد الأمن للمجتمع المسلم ، فقد كان الناس في الجاهلية لايأمنون على أنفسهم ، حيث كان المبدأ السائد فيهم هو الأخذ بالثأر من أي فرد من أفراد القبيلة التي اعتدى أحد أفرادها ، فالإنسان لايأمن على نفسه وإن حفظ نفسه وأسرته من الأعتداء ، لأن أي فرد من أفراد القبيلة يعتدي يكون جميع أفراد القبيلة معرضين للقتل .

ولقد أبطل الإسلام مبدأ الأخذ بالثأر ، وشرع القصاص من المعتدي دون أفراد قبيلته .

ويُبيِّن النبي ﷺ أن على المسلمين كافة أن يكونوا جميعا ضد المعتدي ، وأنه لايجوز لهم السكوت عنه حتى يُحكم عليه بحكم الشريعة ، وإن كان من أقرب الناس إليهم .

ولاشك أن تطبيق هذا الحكم ينتجُ عنه استتباب الأمن في المجتمع ، وهذا هو الذي تم في المجتمع الإسلامي منذ أن طبق المسلمون هذا الحكم .

١٢ – وفد النصارى وخبر المباهلة

قال ابن إسحاق : وقَدم على رسول الله ﷺ وفْدُ نصارى نَجْرانَ ، ستُّون راكبًا ، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم ، في الأربعة عشرَ منهم ثلاثةُ نفر إليهم يؤول أمْرُهم : العاقب ، أميرُ القوم وذو رأيهم ، وصاحب مشُورتهم والذي لا يصدُرون إلا عن رأيه واسمُه عبد المسيح ، والسيّد ثمالُهم [١] وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل أُسقفهم [٢] وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم .

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ، ودرس كتبهم ، حتى حسن علمه في دينهم ، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم .

فلما وجَّهوا إلى رسول الله ﷺ من نجران ، جلس أبو حارثة على بغلة له موجِّهًا إلى رسول الله ﷺ ، وإلى جَنْبه أخٌ له ، يقال ل : كُوز بن عَلقمة [٣] ، فعثرت بغلة أبي حارثة ، فقال كوز : تعس الأبْعد يريد رسول الله ﷺ ، فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست فقال ولمَ يا أخي ؟ قال : والله إنه للنَّبي الذي كنّا ننتظرهُ ، فقال له كوز : ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرَّفونا ومَوَّلونا وأكرمونا ،

(١) أي قوامهم وغياثهم .

(٢) أي زعيمهم الديني .

(٣) قال ابن هشام : ويقال : كُرْز .

وقد أبَوْا إلاّ خَلافه ، فلو فعلتُ نزعوا منّا كلَّ ماترى ، فأضمر عليها منه أخوه كوز بن عَلقمة ، حتى أسلم بعد ذلك ، فهو كان يُحدّث عنه هذا الحديث فيما بلغني .

وهكذا كان كثير من علماء النصارى واليهود يعتقدون في رسول الله ﷺ أنه النبي المنتظر الذي بشَّر به أنبياؤهم ، ولكن لم ينفعهم هذا الاعتقاد ولم يُعتبروا به مسلمين لأنهم لم يدخلوا في الإسلام .

قال ابن هشام : وبلغني أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبًا عندهم ، فكلما مات رئيسٌ منهم فأفضت الرياسة إلى غيره ، ختم على تلك الكتب خاتمًا مع الخواتم التي كانت قبله ولم يكسرها ، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي ﷺ يمشي فعثر ، فقال له ابنه : تعس الأبعدُ ! يريد النبي ﷺ ، فقال له أبوه : لاتفعل ، فإنه نبي ، واسمه في الوضائع ، يعني في الكتب ، فلما مات لم تكن لابنه همَّه إلا أن شد فكسر الخواتم ، فوجد فيها ذكر النبي ﷺ ، فأسلم فحُسن إسلامُه وحج ، وهو الذي يقول :

إليــك تَعْدو قَلقًا وَضينُها (١) مُعْتَرِضًا في بطنها جَنينُها

مُخالفًا دينَ النصارى دينُها (٢)

ومن هذا الخبر وأمثاله يتبين لنا أن كثيراً من علماء أهل الكتاب كانوا

(١) قال ابن هشام : الوضين الحزام .

(٢) وقد أخرج هذا الخبر الإمام البيهقي من طريق شيخه الحاكم بإسناده عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال . حدثنا بريدة بن سفيان عن ابن البيلماني عن كرز بن علقمة - دلائل النبوة ٥/ ٣٨٢ - ٣٨٣ .

يعرفون الرسول ﷺ ويعلمون انطباق الصفات التي جاءت في كتبهم عليه ، كما جاء في قول الله تعالى ﴿ **أوَ لمْ يكُنْ لهم آيةً أن يَعلَمه علماء بني إسرائيل** ﴾ الشعراء / ١٩٧ فمنهم من هداه الله تعالى كهذا الرجل وكعبد الله بن سلام ، ومنهم من اتبعوا أهواءهم وهم الأكثر .

ومن هذا نعلم خطورة اتباع الهوى حيث يقود صاحبه إلى الشقاء الدائم في حياة الخلود ويحرمه من النعيم الخالد في تلك الدار ، فما أشقى هؤلاء الذين اتبعوا أهواءهم وألغوا تحكيم عقولهم ! .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال : لما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر ، عليهم ثياب الحبرات ، جُبَب وأرْدية ، في جَمال رجال بني الحارث بين كعب . قال : يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي ﷺ يومئذ : ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم ، فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يصلون ، فقال رسول الله ﷺ : دعُوهم فصلَّوا إلى المشرق .

ثم ذكر ابن إسحاق أسماء زعمائهم الأربعة عشر ، وذكر شيئًا من اعتقادهم ، ثم ذكر نزول سورة آل عمران فيهم من أولها ، إلى آية المباهلة وهي قوله تعالى : ﴿ **فمن حاجَّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا نَدْعُ ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فَنَجْعَل لعنة الله على الكاذبين** ﴾ - آية ٦١ -[1] .

---

(١) قال ابن هشام : قال أبو عبيدة : نبتهل ندعو باللعنة .

إلى أن ذكر آخر هذه الآيات التي نزلت فيهم وهي قول الله تعالى **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولا يتّخذَ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾** آية ٦٤ .

قال : فدعاهم إلى النَّصَف وقطع عنهم الحجة .

فلما أتى رسول الله ﷺ الخبرُ من الله عنهم ، والفَصْلُ من القضاء بينه وبينهم ، وأمر بما أمر به من مُلاعنتهم إنْ ردّوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ، فقالوا له : يا أبا القاسم ، دعنا ننظر في أمرنا ، ثم نأتيك بما نريد أن تفعل فيما دعوتنا إليه . فانصرفوا عنه ، ثم خَلَوا بالعاقب ، وكان ذا رأيهم ، فقالوا : ياعبد المسيح ، ماذا ترى ؟ فقال : والله يامعشر النصارى لقد عرَفتم إن محمداً لنبي مُرْسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خَبَر صاحبكم ، ولقد علَمتم ما لاعن قومٌ نبيًا قطُّ فبقي كبيرُهم ، ولانَبَت صغيرُهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم ، والإقامة إلى بلادكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم ، فأتَوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا ألا نُلاَعنك ، وأن نَتْركك على دينك ، ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك تَرْضاه لنا ، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضَى .

قال محمدُ بن جعفر : فقال رسول الله ﷺ ائتوني العشيّةَ أبعثْ معكم القويَّ الأمين ، قال : فكان عمرُ بن الخطاب يقول : ما أحببت

الإمارة قطُّ حبّي إياها يومئذ ، رجاءَ أن أكون صاحبها ، فرُحْتُ إلى الظُّهر مهجِّراً (١) ، فلما صلى بنا رسولُ الله ﷺ الظهر سَلَّم ، ثم نَظر عن يمينه وعن يساره ، فجعلت أتطاول له ليَراني ، فلم يَزَلْ يلتمس ببَصره حتى رأى أبا عُبيدة بن الجرّاح ، فدعاه فقال : اخْرُج معهم فاقض بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه . قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة » (٢) .

وهذه منقبة عظمى لأبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه حيث حاز على الوصفين اللازمين للقيام بأي عمل من الأعمال ، وهما القوة والأمانة كما قال الله تعالى حكاية عن ابنة شعيب ﴿ **يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرتَ القويُّ الأمين** ﴾ - القصص ٢٦ - فالقوة تعني المقدرة على تحمل المسئولية وأدائها ويدخل في ذلك الخبرة الكافية في العمل ، والأمانة تعني الاستعداد الكامل لتنفيذ الحق ، والتجرد الكامل من اتباع الهوى .

* * *

---

(١) يعني مبكراً .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٧ - ٢٥٥ وأخرجه هذا الخبر مختصرا الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، رقم ٤٣٨٠ (٨/ ٩٣) .

١٣ - موقف لسعد بن معاذ في تحدي الكفار

أخرج الإمام أبو عبد الله البخاري من حديث عبد الله بن مسعود أن سعد بن معاذ حدثه أنه كان صديقا لأمية بن خلف ، وكان أمية إذا مرَّ بالمدينة نزل على سعد ، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد معتمرا فنزل على أمية بمكة فقال لأمية : انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت ، فخرج به قريبا من نصف النهار ، فلقيهما أبو جهل فقال : يا أبا صفوان من هذا معك ؟ فقال : هذا سعد ، فقال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمنا وقد آويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ! أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالما ، فقال له سعد - ورفع صوته عليه : أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ماهو أشد عليك : طريقك على المدينة ، فقال له أمية : لاترفع صوتك ياسعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي ، فقال سعد : دعنا عنك يا أميه فو الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنهم قاتلوك ، قال : بمكة ؟ قال : لا أدري ، ففزع لذلك أمية فزعًا شديدًا وفي رواية قال : فو الله مايكذب محمد إذا حدث .

فلما رجع أمية إلى أهله قال : يا أم صفوان ألم تَرَيْ ما قال لي سعد؟ قالت : وما قال لك ؟ قال : زعم أن محمدًا أخبرهم أنهم قاتليَّ ، فقلت له : بمكة ؟ قال : لا أدري ، فقال أمية : والله لا أخرج من مكة ، فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس قال : أدركوا عيركم ، فكره أمية أن يخرج فأتاه أبو جهل فقال : يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد

تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك ، فلم يزل به أبو جهل حتى قال : أما إذا غلبتني فو الله لأشترين أجود بعير بمكة - يعني لينجو عليه إذا أراد - ثم قال أمية : يا أم صفوان جهزيني فقالت له : يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي ؟ قال : لا أريد أن أجوز معهم إلا قريبا ، فلما خرج أمية أخذ لاينزل منزلا إلا عقل بعيره فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وجل ببدر »(١) .

وهكذا رأينا سعد بن معاذ رضي الله عنه يظهر الاعتزاز بإسلامه ويتحدى الكفار فيطوف حول الكعبة نهاراً ، وإنها لمغامرة جريئة لأنه سيد الأنصار وأعظمهم نصراً للإسلام وإيواء رسول الله ﷺ ، وإن في مجادلته أبا جهل مع ماعرف عنه من التصلب في عداء المسلمين دلالة ظاهرة على قوة إيمان سعد ورسوخ يقينه .

وفي تهديده بقطع الطريق على تجار قريش إن منعوه من الطواف دليل على أهمية استيلاء المسلمين على المواقع المهمة التي تتوقف مصالح الأعداء على أمنها وسلامتها .

وفي واقعنا المعاصر نجد أن أكثر الحروب تقوم على المصالح الاقتصادية ، فالدول التي تستولي على قدر أكبر من القوة المالية تكون هي الأقوى في الهيمنة على الأرض والسيطرة على الناس ، ولكن هذه الدول القوية لاتقوم عادة إلا على وجود أمم تتسم بالضعف والجهل بالمصالح المادية ، وطرقها المتشعبة ، فتغتنم بذلك الأمم المتفتحة نحو الدنيا .

---

(١) صحيح البخاري رقم ٣٩٥٠ و ٣٦٣٢ .

والأمة الإسلامية اليوم لو توفر لها الوعي الصحيح والإيمان القوي فإنها تستطيع أن تشل حركة الأمم القوية الطاغية المعتدية على حقوق الأمم الأخرى .

وبالتالي فإن تلك الأمم الطاغية تخضع وتتنازل عن كثير من مظاهر طغيانها .

بل إن الأمر في هذا الزمن أيسر بكثير مما كان عليه في الأزمنة السابقة ، لأن حياة الأمم القوية تقوم على تصدير المنتجات للأمم الأخرى ، فلو أن هذه الأمم المستوردة أوقفت استيراد السلع مع الأمم الطاغية لاستطاعت أن تقضي على كثير من مصانعها وأن تشل حياتها ، وهذا العمل ميسور ، باستطاعة أي أمة أن تطبقه ، خصوصًا مع وجود التنافس الشديد بين الدول المصدرة ، وليس كل هذه الدول تحمل العدوان للمسلمين ، فبإمكان المسلمين أن يتاجروا مع الدول المسالمة لهم .

وقول سعد « دعنا عنك يا أمية فو الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول إنهم قاتلوك » براعة منه في صرف اهتمام الرجلين عن قضية طوافه التي يدور حولها النزاع إلى موضوع يهمهما أكثر من ذلك ، فاشتغلا به وتركا موضوع الجدال الأول .

وهو قبل ذلك توفيق من الله تعالى ، حيث ألهم سعدًا هذه الفكرة التي كان بها خلاصه من ذلك المأزق ، وإنما يترتب توفيق الله تعالى على تقوى العبد المبنية على الإيمان والإخلاص كما قال الله تعالى ﴿ **ومن يتق**

الله يجعل له مخرجًا ﴾ – الطلاق ٢ – وقوله ﴿ **ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا** ﴾ – الطلاق / ٤ ، وقوله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** ﴾ – الأنفال / ٢٩ – ، وقوله ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ البقرة / ٢٨٢ .

ولاشك أن الصحابة رضي الله عنهم قد حظوا من الإيمان والتقوى بحظ وافر .

* * *

١٤ - المغازي والسرايا قبل بدر الكبرى

تبين لنا أنه لما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة سلبهم المشركون أكثر أموالهم ، ومع كون المشركي قد ظلموا المسلمين بذلك فإنهم قد فقدوا الوعي السياسي لمصالحهم ، لأن قوافل تجارة قريش إلى الشام تمر بالمدينة وضواحيها ، والتجارة إلى الشام هي أكبر مصادر الثروة عندهم ، وقد فاتهم التفكير السليم والتقدير الصحيح لمصالحهم التجارية ، حينما أقدموا على ذلك العمل الشنيع ، من سلب المسلمين أموالهم .

فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، واستقرَّ به المقام ، ووطَّد الأمور داخل المدينة بتقوية المجتمع الإسلامي ، وعقد المعاهدات بينه وبين يهود المدينة فكَّر في إنصاف المسلمين من أعدائهم من أهل مكة ، فصار يبعث السرايا لرَصْد قوافل قريش التجارية ومصادرتها .

ولو لم يكن من أهداف الإغارة على قوافل قريش التجارية إلا هذا المقصد لكان كافيا في تسويغها شرعا وعقلا ، لأنها من باب إنصاف المظلومين الذين لايمكن استرداد حقوقهم إلا من هذا الطريق ، فكيف ولهذا المسلك الحربي أهداف عالية ، من أبرزها محاولة إضعاف أكبر عدو للإسلام قد بدأ معركة الصراع مع المسلمين ، وقد كان العامل القوي في استكبار زعماء قريش وتطاولهم على المسلمين ما يتمتعون به من مال كثير قد تنامَى مع الزمن ، بسبب حياة الأمن التي يعيشونها في ظلال قدسية الحرم ، وما وُفِّقوا إليه من الرحلات التجارية الضخمة التي يشترك

فيها عادة كثير من أهل مكة . ولقد كانت خطورة هذا المال الضخم تتمثل في مقـدرة أهل مكة على تمويل المعـارك الكبرى مع أعـدائهـم ، فكان من الحكمـة - لمن دخل مـعـهـم في عـداء حربي أن يقص من أجنحـتـهـم التي تمكِّنهم من التحليق في أجواء العدوا والظلم .

ومن السذاجة والتخلف في الوعي السياسي أن يفوِّت هذه الفرصة مخاصمهم وهو يقدر عليها .

- سريَّة عبيدة بن الحارث إلى رابغ -

كان أول بعث بعثه رسول الله ﷺ سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ ، وسرية حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر ، وكان تاريخهما متقاربا ، ونظرًا لتقارب وقتهما حصل الخلاف بين المؤرخين الأوائل في تحديد أول سرية بعثها رسول الله ﷺ ، هل هي سرية عبيدة كما سار على ذلك ابن إسحاق ، أو سرية حمزة كما سار على ذلك الواقدي .

وفي سرية عبيدة بن الحارث يقول محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى :

وبعث رسول الله ﷺ ، في مُقامه ذلك بالمدينة [1] عُبيدة ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قُصَيّ في ستين أو ثمانين راكبًا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنيّة المُرَّة ، فلقي بها جَمْعا عظيما من قُريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلاّ أن سعد ابن أبي وقاص قد رَمى يومئذ بسَهم فكان أوَّلَ سهم رُمي به في الإسلام .

ثم انصرف القومُ عن القوم ، وللمسلمين حامية [2] . وفرّ من المُشركين إلى المسلمين المِقْدادُ بن عمرو البهرْاني ، حليفُ بني زُهْرة ، وعُتْبة بن غَزْوانَ بن جابر المازني ، حليف بني نَوْفل بن عبد مناف ، وكانا

---

(١) الإشارة تعود إلى ما سبق أن ذكره ابن إسحاق من إقامة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة في السنة الأولى من الهجرة إلى بداية السنة الثانية .

(٢) جاء في رواية الواقدي « ثم انصرف هؤلاء على حاميتهم وهؤلاء على حاميتهم » .

مُسلمين ، ولكنّهما خَرجا ليتوصّلا بالكفار . وكان على القوم عكرمةُ بن أبي جَهْل .

قال ابن هشام : حدثني ابن أبي عمرو بن العَلاء عن أبي عمرو المدني : أنه كان عليهم مكْرَز بن حَفْص بن الأخْيف ، أخي بني مَعيص ابن عامر بن لُؤيّ بن غالب بن فهْر [1] .

وهكذا حاز سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه شرف السبق في الجهاد في سبيل الله تعالى ، بكونه أول من رمى بسهم في الإسلام .

وإن أهم ما حصل عليه المسلمون في هذه السرية نجاة المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان رضي الله عنهما ، حيث فرَّا من معسكر المشركين إلى معسكر المسلمين .

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٦٤ ، وانظر مغازي الواقدي ١/ ١٠ ، طبقات ابن سعد ٢/ ٧ ، تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي ٤٦) ، البداية والنهاية ٣/ ٢٣٣ .

وقد ذكر الواقدي أن هذه السرية كانت في شهر شوال من السنة الأولى للهجرة .

- سرية حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر -

قال محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى :

وبعث في مقامه ذلك ، حمزةَ بن عبد المطلب بن هاشم ، إلى سيف البَحْر ، من ناحية العيص ، في ثلاثين راكبًا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاث مئة راكب من أهل مكة . فحجز بينهم مَجْديُّ بن عمرو الجهنيّ ، وكان مُوادعًا للفريقين جميعًا ، فانصرف بعضُ القوم عن بعض ، لم يكن بينهم قتالُ .

وبعض الناس يقول : كانت رايةُ حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين . وذلك أنَّ بعثْه وبعْث عُبيدة كانا معًا ، فشُبِّه ذلك على الناس (١) .

ولقد كانت مغامرة جريئة ، وتضحية كبيرة أن يعزم ثلاثون من المؤمنين على قتال عشرة أضعافهم من المشركين ، وهذا دليل على رسوخ إيمان هؤلاء الصحابة وقوة تعلقهم بالحياة الآخرة وضعف ارتباطهم بالحياة الدنيا ، وهذا يمنحهم درجة عالية من الإقدام والشجاعة .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦٩ ، وانظر مغازي الواقدي ١/ ٩ ، طبقات ابن سعد ٢/ ٦ ، تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي / ٤٥) ، البداية والنهاية ٣/ ٢٣٢ . وقد ذكر الواقدي أن هذه السرية كانت في شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة .

– سرية عبد الله بن جحش إلى وادي نخلة –

لم يكتف النبي ﷺ ببعث السرايا لمحاصرة قريش من طريق تجارتهم نحو الشام ، بل إنه أرسل رهطا من المسلمين لاعتراض تجارة قريش فيما بين مكة والطائف ، وهذا طريق لم يكن في حساب مشركي مكة أن يقف لهم به المسلمون .

وفي ذلك يقول ابن إسحاق رحمه الله تعالى :

وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي في رجب مَقْفَلَه من بدر الأولى [١] وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، وكتب له كتاباً ، وأمَره أن لاينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ، فيَمضي لما أمره به ، ولايستكره من أصحابه أحدًا .

ثم ذكر أسماء أصحاب السرية ، إلى أن قال :

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب ، فنظر فيه ، فإذا فيه : إذا نظرت في كتابي هذا فامْض حتى تنزل نَخْلة ، بين مكة والطائف ، فترصَّدْ بها قريشا وتعلَّم لنا من أخبارهم ، فلما نظر عبد الله ابن جحش في الكتاب قال : سمعا وطاعة ، ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسولُ الله ﷺ أن أمضي إلى نَخْلة ، أرصد بها قريش ، حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهاني أن أستكره أحدًا منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ . فمضى ومضى معه أصحابه ، ولم يتخلف عنه منهم أحد .

---

(١) يعني من السنة الثانية للهجرة .

وسلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له : بحران ، أضلّ سعدُ بن أبي وقاص وعُتْبة بن غَزْوان بعيراً لهما ، كانا يَعْتقبانه ، فتخلفا عليه في طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش وبقيةُ أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زَبيبا وأدَما [1] ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو بن الحَضْرمي .

قال ابن إسحاق ، وعثمان بن عبد الله بن المُغيرة ، وأخوه نوْفل بن عبد الله المَخْزُوميّان ، والحكم بن كَيْسان ، مولى هشام بن المغيرة .

فلما رآهم القوم هابُوهم وقد نزلوا قريبا منهم ، فأشرف لهم عُكاشة ابن محْصَن ، وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقالوا : عُمَّار ، لابأس عليكم منهم .

وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب فقال القوم : والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخُلنّ الحرم ، فيمتَنعُنّ منكم به ، ولئن قَتلتموهم لتقتلنّهم في الشهر الحرام ، فتردّد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجّعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قَدَروا عليه منهم ، وأخْذ ما معهم ، فرمى واقدُ بن عبد الله التَّميمي عمرو بن الحَضْرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمانُ بن عبد الله ، والحكم بن كَيْسان ، وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعْجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير وبالأسيرين حتى قَدموا على رسول الله ﷺ المدينة . . إلى أن قال :

---

(١) يعني الجلود .

فلما قَدموا على رسول الله ﷺ المدينة ، قال : ما أمرتُكم بقتال في الشهر الحرام ، فوقَّف العير والأسيرين ، وأبَى أن يأخذ من ذلك شيئًا ، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سُقط في أيدي القوم ، وظنّوا أنهم قد هَلكوا ، وعنَّفهم إخوانُهم من المسلمين فيما صنَعوا ، وقالت قريش : قد استحلّ محمد وأصحابُه الشهرَ الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسرُوا فيه الرجال ، فقال من يردّ عليهم من المسلمين ، ممّن كان بمكة إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان .

وقالت يهود - تفاءلُ بذلك على رسول الله ﷺ - عمرو بن الحضرمي قتله واقدُ بن عبد الله ، عمرو : عمرت الحرب ، والحضرمي : حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله : وقدت الحرب . فجعل الله ذلك عليهم لا لهم .

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ **يسئلونكَ عن الشهر الحرام قتال فيه ، قُل : قتال فيه كبّيرٌ ، وصد عن سبيل الله وكُفر به والمسجد الحرام وإخراجُ أهله منهُ أكبرُ عند الله** ﴾ - سورة البقرة ٢١٧ - ، أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخْراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند اللّه من قتل من قتلتم منهم ﴿ **والفتْنَةُ أكبر من القتْل** ﴾ أي قد كانوا يفتنون المُسلم عن دينه حتى يردّوهُ إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبر عند الله من القتل ﴿ **ولا يَزَالُونَ يُقَاتلونكُمْ حتَّى يَردُّوكم عن دينكُمْ إن استَطَاعوا** ﴾ أي ثم هم مقيمون على أخْبث ذلك وأعظمه ، غير تَائبين ولا نازعين .

فلمـا نزل القـرآن بـهـذا من الأمـر ، وفرّج الله تعـالى عن المسلمين ماكـانوا فيـه من الشفَق ، قَبَضَ رسولُ الله ﷺ العيرَ والأسيريْن ، وبعثت إليه قريشُ في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كَيْسان ، فقال رسول الله ﷺ : لانُفْديكموهما حتى يقـدَم صاحبانا - يعني سعدَ بن أبي وقاص ، وعُتبة بن غَزْوان - فإنا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم فقدم سعدُ وعُتبة ، فأفْداهما رسول الله ﷺ منهم [1] .

فـأما الحكم بن كَيْسان فأسلم فحُسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قُتل يوم بئر مَعُونة شهيداً . وأما عثمان بن عبد الله فَلحق بمكة ، فمات بها كافراً .

فلما تَجلّى عن عبد الله بن جحْش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ، طَمعوا في الأجر ، فقالوا : يارسول الله ، أنطمع أن تكون لنا غزوة نُعْطَى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله عزّ وجل فيهم : ﴿ **إن الذين آمنـوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله ، أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم** ﴾ سورة البقرة / ٢١٨ فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء .

(١) وكون سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان تأخر وصولهما بعد وصول السرية دليل على أنهما قد اجتهدا في اللحاق بالسرية بعد العثور على بعيرهما فلم يتمكنا من ذلك ، وهذا هو المظنون بهما رضي الله عنهما .

والحـديث في هذا عن الزهري ويزيد بن رُومـان ، عـن عُـروة بن الزبير [1] .

قال ابن هشام : وهي أوّل غنيـمة غنمها المسلمون . وعمرو بن الحضْرمي أوّل من قَتله المسلمون ، وعثمانُ بن عبد الله والحكم بن كَيْسان أوّل من أسر المسلمون [2] .

(١) وقال الحافظ ابن كثير : وهكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري وكذا روى شعيب عن الزهري نحواً من هذا - البداية والنهاية ٣/ ٢٤٩ - .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٦ - ٢٨٢ .

مواقف وعبر من هذه السرية :

١ - جاء في هذا الخبر أن النبي ﷺ كتب لأمير السرية كتابا وأمره أن لاينظر فيه حتى يسير يومين ، وهذا مثل لتطبيق مبدإ مهم من مبادىء الحرب ، وهو إخفاء الخطط الحربية ، ومنها خط السير ، حتي يكون الجيش في أمان من كيد الأعداء ، فالمدينة كانت آنذاك تضم اليهود والوثنين ومن المتوقع أن يسارع هؤلاء إلى إخبار أهل مكة بخط سير تلك السرية الموجهة ضدهم ، فلما سار أفراد السرية وهم بأنفسهم لايعلمون اتجاههم أصبح النبي ﷺ آمنا من انكشاف الهدف المقصود .

٢ - موقف أولئك الصحابة الذين سمعوا وأطاعوا جميعا وساروا إلى منطقة أعدائهم ، وتجاوزوها حتى كانوا من ورائهم ، وهذا شاهد على قوة إيمان الصحابة رضي الله عنهم ، واستهانتهم بأنفسهم في سبيل الله تعالى .

٣- في هذا الخبر عبرة للمسلمين بما قام به المشركون من تشويه إعلامي خطير لسمعة المسلمين ، حيث شهروا بهم فيما جرى من أصحاب تلك السرية من القتل وأخذ الأموال والسبي في الشهر الحرام .

وقد كان ذلك في آخر يوم من شهر رجب ، وقد جاء في رواية ابن إسحاق المذكورة أن المسلمين في مكة دافعوا عن إخوانهم أصحاب السرية بأن ذلك اليوم كان من شعبان ، فهذا يفيد بأن أولئك الصحابة لم يتأكد لهم أن ذلك اليوم من رجب .

والكفار عادة يغتنمون كل فرصة لتشويه سمعة المسلمين ، فحينما

ظفر كفار مكة بهذه المخالفة التي تعني انتهاكًا لأمر يقدسه العرب اغتنموا ذلك للتشهير بالمسلمين ، وقد طمعوا من خلال هذا الاتهام في أن يضعفوا من مكانة المسلمين ، وأن ينفروا الناس من قبول دعوة الإسلام .

ولقد حصل التساؤل من المسلمين فيما صنع أصحاب تلك السرية ، ولاموا إخوانهم على ماحدث .

ونزل القرآن في بيان هذا الأمر ، وفي الرد على مقالة المشركين وذلك في قول الله تعالى ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه** ﴾ الآيتين .

ولقد قام ابن إسحاق بتفسير هاتين الآيتين عى ضوء أحداث هذه السرية بما يكفي ويغني كما جاء في هذا الخبر .

٤ - وفي هذا الخبر عبرة مما جرى من اليهود من شماتة حاقدة ، حيث تفاءلوا من اسم القاتل من المسلمين والمقتول من المشركين بأن الحرب ستشتعل على المسلمين ، فجعل الله سبحانه الحرب عليهم لا على المسلمين .

وهذا الكلام من اليهود تعبير عن حقد دفين في نفوسهم على الإسلام والمسلمين .

- غزوات النبي ﷺ قبل بدر الكبرى -

ذكرنا سابقا أن النبي ﷺ بعد أن اطمأن به المقام في المدينة جهز عدداً من السرايا لاعتراض تجارة قريش ، ولغير ذلك من الأهداف الحربية .

ولم يكتف بذلك بل خرج بنفسه ﷺ في عدة غزوات قبل غزوة بدر الكبرى وهي على ماذكر المؤرخون : غزوة الأبواء وهي غزوة ودَّان ، وغزوة بواط ، وغزوة العُشَيرة .

وقد كان الهدف من هذه الغزوات اعتراض تجارة قريش ، إضافة إلى تقرير العلاقات الحربية مع قبيلة بني ضمرة بالنسبة لغزوة الأبواء ، وقد تمت الموادعة بين النبي ﷺ وقبيلة بني ضمرة ، وكتابة كتاب بينهم على أن لايُكَثِّروا على رسول الله ﷺ ولايعينوا عليه أحدا .

ومن هذه الغزوات غزوة بدر الأولى ، وقد كان الهدف منها طلب كرز بن جابر الفهري الذي أغار على سرح المدينة فاستاقه ، فخرج النبي ﷺ في أثره حتى بلغ سفوان من ناحية بدر ولم يدركه [1] .

وهكذا نجد أن النبي ﷺ خرج للغزو أربع مرات قبل غزوة بدر الكبرى ، وذلك ما بين شهر صفر من السنة الثانية للهجرة وشهر جمادى الثانية من السنة نفسها .

وكون النبي ﷺ خرج بنفسه ، ويعاني من مشقه السفر وتلقى كيد الأعداء واحتمال مواجهتهم أربع مرات خلال خمسة أشهر مثل أعلى في

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٦٢ - ٢٧٦ ، مغازي الواقدي ١/ ١١ - ١٢ ، طبقات ابن سعد ٢/ ٨-٩ ، تاريخ الإسلام (المغازي ٤٥ - ٤٨) .

التضحية بالنفس وبذل الجهد في سبيل إعزاز هذا الدين وحمايته ، وبذلك أصبح ﷺ قدوة عليا لأمته في ركوب الصعاب وتحمل المشاق ، والتهوين من راحة النفس في سبيل خدمة المثل العليا .

ولقد كان أصحابه على أتم استعداد للقيام بهذه المهمات نيابة عنه ، بل كل واحد منهم يفديه بنفسه ، ولكنه الرسول المربي ، الذي يريد أن ينشيء جيلا يكون قدوة للعالمين إلى قيام الساعة ، فكلَّف نفسه ﷺ بهذه الأمور الشاقة لتهون بعد ذلك على كل فرد من أفراد صحابته ، حيث إنه من التقصير في حبه ﷺ والاقتداء به أن يرغب مؤمن لنفسه من الراحة والرفاهية بما يترفع عنه رسول الله ﷺ .

مواقف وعبر
في
غزوة بدر الكبرى

١ - أمر النبي ﷺ أصحابه بالخروج للعير [١] -

قال ابنُ إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب مُقبلاً من الشام في عير لقُريش عظيمة ، فيها أموال لقريش ، وتجارةٌ من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون ، منهم مَخْرمة بن نوفل بن أُهيب بن عبد مناف بن زُهْرة ، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن مُسْلم الزُّهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبدُ الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عُروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا ، عن ابن عباس ، كلٌّ قد حدثني بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سُقْت من حديث بدر [٢] ؛ قالوا : لما سمع رسولُ الله ﷺ بأبي سفيان مُقْبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم ، وقال : هذه عيرُ قُريش ، فيها أموالهم ، فاخرجُوا إليها لعل الله يُنَفِّلكُموها ، فانتدب الناسُ ، فخفّ بعضُهم وثقُل بعضُهم وذلك أنهم

---

(١) يعني قافلة قريش التجارية القادمة من الشام .

(٢) يعني أن جميع ما ساقه ابن إسحاق من حديث هذه الغزوة فهو بهذا الإسناد إلا إذا ذكر إسناداً وقد اختصر ابن هشام ذكر الإسناد فنسب أخبار هذه الغزوة إلى ابن إسحاق نفسه .

وقد أخرج الإمام ابن جرير هذا الحديث في تفسيره بهذا الإسناد - ٩/ ١٨٥ - وكذلك في تاريخه - ٢/ ٤٢٧ بهذا الإسناد ، وقد تخلله روايات أخرى عن ابن إسحاق بغير هذا الإسناد وروايات عن غير ابن إسحاق ، وإذا رجع إلى هذا الحديث يقول : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، يعني فيما يحدث به عن شيوخه ، وعبارته هذه أدق من صنيع ابن هشام الذي نسب القول إلى ابن إسحاق ، فأوهم أنه من قوله بلا سند .

لم يظنّوا أن رسول الله ﷺ يَلْقَى حَرْبًا ، وقد جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ضمن حديث عن غزوة بدر « قال : فخرج رسول الله ﷺ ، فتكلم فقال : إن لنا طَلِبَة فمن كان ظهره حاضرا فليركب معنا ، فجعل رجال يستأذنونه في ظُهرانهم في علو المدينة فقال : لا ، إلا من كان ظهره حاضرا (١) .

قال ابن إسحاق : وكان أبو سفيان - حين دنا من الحجاز - يتحسّس الأخبار ، ويسأل مَنْ لَقي من الرُّكْبان ، تخوُّفا على أمْر الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أنّ محمداً قد استَنْفر أصحابَه لك ولعيرك فَحذر عند ذلك . فاستأجر ضَمْضم بن عَمْرو الغفَاريَّ ، فَبعثه إلى مكة ، وأمره أنْ يأتي قُريشا فيَسْتَنْفرهم إلى أموالهم ، ويُخبرهم أنّ محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة (٢) .

---

(١) صحيح مسلم رقم ١٩٠١ (ص ١٥١٠) كتاب الإمارة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٤ .

٢- رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب وإضعاف معنوية الكفار -

قال ابن إسحاق : فأخبرني من لا أتَّهم عن عكْرمة عن ابن عباس ، ويزيد بن رومان عن عُروة بن الزُّبير ، قالا : وقد رأت عاتكةُ بنت عبد المطلب ، قبل قدوم ضَمْضم مكة بثلاث ليال رُؤْيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العبّاس بن عبد المطلب ، فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رُؤيا لقد أفظعتني وتخوّفْت أن يدخل على قومك منها شرٌّ ومُصيبة ، فاكتُم عنّي ما أحدّثك به .

فقال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيتُ راكبًا أقبل على بَعير له ، حتى وقف بالأبْطح ، ثم صَرخ بأعى صوته : ألا انفرُوا يالَغُدُرُ[١] لمصارعكم في ثلاث فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناسُ يَتْبعونه ، فبينما هم حوله مَثَل به بعيرُه على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا يالَغدر لمصارعكم في ثلاث ثم مَثل به بعيرهُ على رأس أبي قُبيس ، فَصرخ بمثلها ، ثم أخذ صَخْرَة فأرسلها ، فأقبلت تَهْوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجَبل ارفضّت فما بقي بيتٌ من بيوت مكة ، ولا دارٌ إلا دخلتها منها فلقَة ، قال العباس : والله إن هذه لرُؤيا ! وأنت فاكتُميها ، ولاتَذْكريها لأحد .

ثم خرج العبّاس : فلقي الوليد بن عُتبة بن رَبيعة ، وكان له صديقا ، فذكرها له واستكْتمه إياها . فذكرها الوليدُ لأبيه عُتبة ، ففشا الحديثُ بمكة ، حتى تحدّثت به قُريش في أنْديتها .

(١) بضم الغين والدال جمع غدور ، أي إن تخلفتم فأنتم غُدُر لقومكم - الروض الأنف ٥/١١٦- .

قال العباس : فغدوتُ لأطوف بالبيت ، وأبو جهل بن هشام في رَهْط من قُريش قُعود يتحدثون برُؤيا عاتكة ، فلما رآني أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فَرَغْتَ من طوافك فأقْبل إلينا ، فلما فرغتُ أقبلتُ حتى جلستُ معهم ، فقال لي أبو جهل : يابَني عبد المطلب ، متى حَدَثَتْ فيكم هذه النبيّة ؟ .

قال : قلت : وماذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التي رأت عاتكةُ ، قال : فقلت : وما رأتْ ؟ قال : يابني عبد المطلب ، أمَا رَضيتم أن يتنبّأ رجالُكم حتى تتنبأ نساؤكم ! قد زعمتْ عاتكةُ في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فسنتربَّص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقًا ما تقول فسيكون ، وإن تَمْض الثلاثُ ولم يكن من ذلك شيء ، نكْتُبُ عليكم كتابًا أنكم أكذبُ أهل بيت في العرب .

قال العبّاس : فو الله ما كَان منّي إليه كَبير ، إلا أني جحدتُ ذلك ، وأنكرت أن تكون رأتْ شيئًا . قال : ثم تفرّقنا .

فلما أمسيتُ ، لم تبق امرأة من بَني عبد المطلب إلا أَتَتْني ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يَقَع في رجالكم ثم قد تَناول النساءَ وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرٌ(١) لشيء مما سمعت ! قال : قلت : قد والله فعلتُ ، ما كان منّي إليه من كَبير . وايمُ الله لأتعرّضن له ، فإن عاد لأكفينكُنّه .

قال : فغدوتُ في اليوم الثالث من رُؤيا عاتكة ، وأنا حَديد مُغْضب

(١) بكسر الغي وفتح الباء أي تغيير .

أرى أني قد فاتني منه أمرٌ أُحب أن أُدْركه منه . قال : فدخلت المسجدَ فرأيته ، فو الله إني لأمشي نحوه أتعرّضه ، ليعودَ لبعض ما قال فأقَع به ، وكان رجلاً خفيفًا ، حديدَ الوجه ، حديدَ اللسان ، حديدَ النظر .

قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتَدُّ . قال : فقلت في نفسي ماله لعنه الله ! أكلُّ هذا فَرَقٌ[1] منّي أن أُشاتمه ! قال : وإذا هو قد سَمع ما لم أسمع : صوت ضَمْضم بن عَمرو الغفاريّ ، وهو يَصْرخ ببطْن الوادي واقفًا على بعيره ، قد جَدّع بعيره[2] ، وحوّل رَحْله ، وشقّ قميصه ، وهو يقول : يامعشر قُريش ، اللَّطيمةَ اللطيمة[3] ، أموالُكم مع أبي سفيان قد عَرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تُدْركوها ، الغَوثَ الغوثَ . قال : فشَغلني عنه وشغله عنّي ما جاء من الأمر[4] .

وهكذا أرى الله جل وعلا عاتكة هذه الرؤيا في ذلك الوقت المناسب لتكون سببا في تخذيل المشركين وإضعاف معنويتهم ، فهم وإن خرج منهم جمع كبير فإن كثيرا منهم كان كارها للخروج ، كما سيتبين من الأخبار التالية .

---

(١) الفرق بفتح الفاء والراء الخوف .

(٢) يعني قطع أنفه .

(٣) اللطيمة اسم للجمال التي تحمل العطر ، ولطائم المسك أوعيته والمعنى أدركوا العير - سبل الهدى والرشاد ٤/ ١٣٢ - .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٥ - ٢٨٧ .

وأخرج هذا الخبر الإمام الطبراني مرسلاً ، ذكره الحافظ الهيثمي وقال : وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن - مجمع الزوائد ٦/ ٧٠ - ٧١ .

٣ - استعداد قريش للحرب -

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى :

فتجهز الناسُ سراعًا ، وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحَضْرمي [١] ، كلا والله ليعلمَنّ غير ذلك . فكانوا بين رجلين ، إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً . وأوْعَبت قريش ، فلم يتخلف من أشرافهم أحدٌ ، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب قد تخلف ، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المُغيرة ، وكان قد لاط له [٢] بأربعة آلاف درهم كانت له عيه أفْلس بها ، فاستأجره بها ، على أن لايُجزئ عنه بعثهُ فخرج عنه وتخلّف أبو لهب .

قال ابن إسحاق : وحدّثني عبد الله بن أبي نَجيح : أن أُمية بن خلف كان أجمع القُعود ، وكان شيخا جليلاً جَسيما ثقيلا ، فأتاه عُقبة ابن أبي مُعَيط ، وهو جالس في المسجد بين ظَهْرانَي قومه ، بمجمرة يحملها ، فيها نار ومَجْمَر ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علي ، استجَمْر ، فإنما أنت من النساء ، قال : قَبَّحك الله وقَبح ما جئْتَ به ، قال : ثم تجهز فخرج مع الناس .

قال ابن إسحاق : ولما فرغوا من جهازهم ، وأجْمعوا المسير ، ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ،

---

(١) يعني التي غنمها المسلمون في سرية نخلة .

(٢) أي له عليه دين من الربا ، قال أبو عبيد ، سمي الربا لياطًا لأنه ملصق بالبيع وليس ببيع - سبل الهدى ٥/ ١٣٣ .

فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا . . ثم ذكر الحرب القديمة التي كانت بين قريش وبني بكر ، إلى أن قال : وحدثني يزيد بنُ رُومان ، عن عُروة بن الزبير ، قال : لما أجمعت قريش المسيرَ ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر ، فكاد ذلك يَثنيهم ، فتبدّى لهم إبليسُ في صورة سراقة بن مالك بن جُعْشُم المُدْلجي ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال لهم : أنا لكم جارٌ من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه ، فخرجوا سراعا [1] .

وهكذا كان إبليس لعنه الله تعالى مرافقا للمشركين من حين استعدادهم للحرب ، فلما أن عرض لهم ما قد يثنيهم عن الاستمرار في عزمهم من خوفهم على الذراري من اعدائهم الأقربين ظهر لهم في صورة سراقة بن مالك الرجل الشجاع الفاتك فأجارهم من جميع بني كنانة ، وكانوا يعلمون سلفا أنه إذا قال فعل ، وأنه لاتُخْفر ذمته ولايستطيع أحد من قومه أن يتجاوز حماه ، ففرحوا بذلك ، وهم لايشكون أن الذي خاطبهم هو سراقه نفسه .

ولقد رجع مكر إبليس وبالاً عليه وعلى شيعته من الكفار ، حيث أصبح خروج قريش الذي شجعهم عليه إبليس نكبة كبرى عليهم كما سيأتي .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٨ - ٢٩١ .

٤ - خبر جزور أبي جهل وموقف لعداس -

أخرج الواقدي من حديث الزهريّ ، عن أبي بكر بن سُليمان بن أبي حَثْمَة ، قال : سمعت حكيم بن حزام يقول : ما وجّهت وجهًا قطُّ كان أكره لي من مسيري إلى بدر . ولا بان لي في وجه قطُّ ما بان لي قبل أن أخرج . ثم يقول : قدم ضَمْضَم فصاح بالنفير ، فاستقسمت بالأزلام ، كلّ ذلك يخرج الذي أكره ، ثم خرجتُ على ذلك حتى نزلنا مَرَّ الظَّهران [1] .

فنحر ابنُ الحَنْظَلِيَّة [2] جُزُرًا ، فكانت جزور منها بها حياة ، فما بقي خباءٌ من أخبية العسكر إلا أصابه من دمها ، فكان هذا بيِّنًا . ثم هممتُ بالرجوع ، ثم أذكر ابن الحنظلية وشؤمه ، فيردني حتى مضيت لوجهي .

فكان حكيم يقول : لقد رأيتنا حين بلغنا الثَّنيَّةَ البيضاء - والثنية البيضاء التي تُهبطك على فَخّ وأنت مُقبل من المدينة - إذا عَدّاس جالسٌ عليها والناس يمرّون ، إذ مرّ عليه ابنا ربيعة ، فوثب إليهما فأخذ بأرجلهما في غَرْزهما ، وهو يقول : بأبي وأُمي أنتما ، والله إنه رسول الله ، وما تُساقان إلاّ إلى مصارعكما ! وإنّ عينيه لتسيل دموعهما على خدّيه ، فأردت أن أرجع أيضًا ، ثم مضيتُ ، ومرّ به العاص بن مُنَبِّه بن الحجاج ، فوقف عليه حين ولّى عُتبة وشيبة ، فقال : ما يُبكيك ؟ فقال : يُبكيني سيّدايّ وسيّدا أهل الوادي ، يخرجان إلى مصارعهما ، ويُقاتلان

---

(١) مرّ الظهران على مرحلة من مكة . (معجم البلدا ، ج ٨ ، ص ٢١) .

(٢) هو أبو جهل ، والعرب تنسب إلى الأم غالبا إذا أرادوا التحقير .

رسول الله . فقال العاص : وإنّ محمدا رسول الله ؟ قال : فانتفض عَدّاس انتفاضةً ، واقشعرّ جلده ، ثم بكى وقال : إي والله ، إنه لرسول الله إلى الناس كافّةً . قال : فأسلم العاص بن مُنَبِّه ، ثم مضى وهو على الشكّ حتى قُتل مع المشركين على شكٍّ وارتياب . ويُقال رجع عَدّاس ولم يشهد بدراً ، ويُقال شهد بدراً وقُتل يومئذ - والقول الأول أثبت عندنا [1] .

وفي هذا الخبر عبرة من ذلك الجزور الذي نحره أبو جهل فأصاب دمه جميع خيام جيش الكفار ، فقد كان ذلك نذيرا لهم بأنهم مقبلون على مصيبة دموية كبرى ، ولاشك أن ذلك مما كان له أثر في إضعاف معنويتهم حيث يكونون قد أقبلوا على حرب لايتوقعون أن نتائجها تكون لصالحهم .

كذلك موقف عداس من سيِّدَيه عتبة وشيبة ابني ربيعة حيث جزم لهما بأنهما إنما يسوقان أنفسهما إلى مصارعهما ، وأقسم لهما أن من خرجوا لحربه هو رسول الله حقا ، وهذا من الدلائل على إسلامه وأنه كان من الذين يكتمون إيمانهم ، وموقفه لهذا لكونه أصلا من أهل الكتاب لاشك أنه سيحدث أثرًا في نفوس سيديه ومن سمع هذا الكلام من التشكيك في نجاح قريش في مهمتهم الحربية تلك .

(١) مغازي الواقدي ١/ ٣٤ - ٣٥ .

٥ – خروج النبي ﷺ وأصحابه لتلقي العير –

قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله ﷺ في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه [١] واستعمل عمرو بن أم مكتوم – ويقال اسمه : عبد الله ابن أم مكتوم أخا بني عامر بن لؤي – على الصلاة بالناس ، ثم رد أبا لُبابة من الرَّوحاء [٢] ، واستعمله على المدينة [٣] .

قال ابن إسحاق : ودفع اللواء إلى مُصْعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار [٤] .

وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوْداوان إحداهما مع عليّ بن أبي طالب ، يقال لها : العُقاب ، والأخرى مع بعض الأنصار [٥] .

قال ابن إسحاق : وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعين بعيراً ، فاعتقبوها ، فكان رسول الله ﷺ ، وعلى بن أبي طالب ، ومَرْثَد ابن أبي مَرْثَد الغَنويّ يَعْتَقبون بعيراً ، وكان حمزة بن المطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو كَبْشَة وأنَسة ، موليا رسول الله ﷺ يعتقبون بعيراً ، وكان أبو بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً [٦] .

---

(١) قال ابن هشام : خرج يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان .

(٢) الروحاء قرية على ليلتين من المدينة في طريق مكة .

(٣) كما جاء في ترجمته عند الحاكم من حديث عروة بن الزبير أن أبا لبابة بشير بن عبد المنذر والحارث بن حاطب خرجا إلى رسول الله ﷺ وخرجا معه إلى بدر فرجّعهما وأمَّر أبا لبابة على المدينة ، وضرب لهما بسهمين مع أصحاب بدر . – المستدرك ٣/ ٦٣٢ – .

(٤) قال ابن هشام : وكان أبيض .

(٥) وقد ذكر ابن هشام أنها كانت مع سعد بن معاذ .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٢ – ٢٩٣ .

٦ – مثل من التنافس على العمل الصالح –
(خبر سعد بن خيثمة وأبيه)

قال الحافظ ابن حجر : قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب : استَهَم يوم بدر سعد بن خيثمة وأبوه فخرج سهم سعد فقال له أبوه : يابني آثرني اليوم ، فقال سعد : يا أبت لو كان غير الجنة فعلت ، فخرج سعد إلى بدر فقتل بها ، وقتل أبوه خيثمة يوم أحد [١] .

وهذا مثل من تسابق الصحابة رضي الله عنهم على الجهاد في سبيل الله تعالى الذي يعتبرونه سبيلا للشهادة التي هي أسرع طريق إلى الجنة وإلى علو الدرجات فيها .

فهذا سعد بن خيثمة وأبوه رضي الله عنهما كل واحد منهما يريد الخروج مع النبي ﷺ إلى بدر ، ولايستطيعان الخروج معًا لاحتياج أسرتهما وعملهما الزراعي إلى بقاء أحدهما ، فلم يتنازل أحدهما عن الخروج رغبة في الشهادة حتى اضطر إلى الاقتراع بينهما ، فكان الخروج من نصيب الابن سعد .

ومع ذلك فإن نفس أبيه خيثمة ظلت تنازعه الرغبة في الخروج فطلب من ابنه أن يؤثره بنصيبه من ذلك ، وكان ابنه في غاية الأدب مع أبيه ولكنه في غاية الشوق إلى الجنة حيث أجابه بهذا الجواب البليغ « يا أبت لو كان غير الجنة فعلت » .

ولما كان الله تعالى يعلم صدق نيتهما في طلب الشهادة وهبها لهما ، فحينما فاتت خيثمة في بدر نالها في أحد .

---

(١) الإصابة ٢/ ٢٣-٢٤ ، رقم ٣١١٨ .

٧ – أمثلة من مكارم الأخلاق –
(خبر النبي ﷺ مع زميله في الدّابّه)

أخرج الإمام أحمد بن حديث عبد الله بن مسعود قال : « كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، كان أبو لبابة وعلى بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ ، قال : وكانت عقبة رسول الله ﷺ فقالا : نحن نمشي عنك ، فقال : ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما [١] .

وفي هذا موقفان لرسول الله ﷺ : الأول في تواضعه الجمّ ، حيث عدّ نفسه كفرد من أفراد المسلمين ، فلم يجعل لنفسه راحلة مستقلة ، بل أشرك معه اثنين كبقية الجيش ، وهو بهذا يقرر مبدأً عاليًا من مبادىء العدالة والمساواة في الحقوق المشتركة ، ويعطي بذلك مثلا عاليا للقائد القدوة في الكمال الإنساني ، حيث أفاد بسلوكه هذا بأن الكمال في الإسلام لايكون بالترفع والأبّهة والتميز ، وإنما يكون بالتواضع والمساواة في الحقوق العامة .

والموقف الثاني : في رفضه عرض زميليه على بن أبي طالب وأبي لبابة بن عبد المنذر في التنازل له عن الراحلة ، حيث أفاد بأن الذي له حق التميز في مثل هذه الحال هو ضعيف الجسم الذي لايقوى على المشي ، فهو معذور في تخصيصه بزيادة في المنفعة « ما أنتما بأقوى مني » ، كما

---

(١) مسند أحمد بتحقيق الشيخ أحمد شاكر وقد صحح إسناده ٦/ ٣ رقم ٣٩٠١ .

وذكره الحافظ الهيثمي وزاد نسبته إلى البزار ، قال : وفيه عاصم بن بهدلة وحديثه حسن وبقية رجال أحمد رجال الصحيح – مجمع الزوائد ٦/ ٦٨ .

أفـاد بأن المشي في سـبيل الله فـيه ثواب عند الله تعـالى ، ولايزهد بهـذا الثواب إلا من لايقدِّر الثواب الأخروي ، والرسول ﷺ أسبق الناس إلى العمل لرضوان الله تعالى والسعادة الأخروية » وما أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

وموقف للصحابيين الجليلين علي بن أبي طالب وأبي لبابة حيث تنازلا للنبي ﷺ عن حقهما في البعير ليركبه وحده ، وهذا من خلق الإيثار الذي يعتبر من أعلى مكارم الأخلاق ، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يؤثر بعضهم بعضا بمتاع الدنيا ووسائل الراحة فيها ، فلا غرابة أن آثر هذا الصحابيان رسول الله ﷺ .

هذا وسبق أن ابن إسحاق ذكر أن زميلي رسول الله ﷺ هما علي ابن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي ، فهذا محمول على ما كان عليه الأمر بعد أن أعاد الرسول ﷺ أبا لبابة إلى المدينة ، فذكر ابن إسحاق اللّذين زاملاه أكثر الطريق .

* * *

٨ – مثل من البراءة من المشركين –
(رفض النبي ﷺ الاستعانة بالمشركين)

أخرج الإمام مسلم من حديث عروة بن الزبير ، عن عائشة زوج النبي ﷺ ، أنها قالت : خرج رسول الله ﷺ قبَل بدر . فلما كان بحرَّة الوبرة [١] أدركه رجل . قد كان يذكر منه جُرأة ونجدة [٢] ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه . فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ : جئت لأتبعكَ وأصيب معك . قال له رسول الله ﷺ « تُومن بالله ورسوله ؟ » قال : لا . قال « فارجع . فلن أستعين بمشرك » .

قالت : ثم مضى حتى إذا كُنا بالشجرة [٣] أدركه الرجلُ . فقال له كما قال أول مرة . فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة . قال « فارجع فلن أستعين بمشرك » . قال : ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة « تُؤمن بالله ورسوله ؟ » قال : نعم . فقال له رسول الله ﷺ فانطلق» [٤] .

وأخرج محمد بن عمر الواقدي عن شيوخه :

قالوا : وكان خُبَيب بن يَساف رجلاً شجاعًا ، وكان يأبى الإسلام فلما خرج النبي ﷺ إلى بدر خرج هو وقيس بن مُحَرِّث ، وهما على دين قومهما ، فأدركا النبي ﷺ بالعقيق ، وخُبيب مُقنع بالحديد ، فعرفه

(١) هو موضع على نحو أربعة أميال من المدينة .

(٢) هو خُبيب بن يساف كما في الرواية التالية .

(٣) يعني حتى إذا كان المسلمون في ذلك المكان ، لأن عائشة لم تكن مع ذلك الجيش .

(٤) صحيح مسلم ، الجهاد ، رقم ١٨١٧ (ص ١٤٤٩) .

رسـول الله ﷺ من تحت المغـفر ، فـالتفت رسـول الله ﷺ إلى سعـد بن مُعاذ ، وهو يسير إلى جنبه ، فقال : أليس بخُبَيب بن يَساف ؟ قال : بلى قال : فأقبل خُبَيب حتى أخذ ببطان [1] ناقة النبي ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ ولقيس بن مُحَرِّث - يقـال قيس بـن المحـرث ، وقيس بن الحارث - ما أخرجكما معنا ؟ قالا : كنت ابن أختنا وجارنا ، وخرجنا مع قومنا للغنيمة . فقال رسول الله ﷺ : لايخرجن معنا رجل ليس على ديننا . قال خُبَيب : قد علم قومي أني عظيم الغَناء في الحرب ، شديد النِّكاية ، فأُقاتل معك للغنيمة ولن أُسلم ! قال رسول الله ﷺ : لا ، ولكـن أسلمْ ثم قـاتل . ثم أدركـه بالرَّوْحـاء فـقـال : أسلمتُ لله ربّ العالمين ، وشهدت أنك رسول الله . فسرّ رسول الله ﷺ بذلك ، وقال : امضه ! وكان عظيم الغناء في بدر وغير بدر . وأبى قيس بن مُحَرِّث أن يُسلم ورجع إلى المدينة ، فلما قدم النبي ﷺ من بدر أسلم ، ثم شهد أحُدًا فقُتل [2] .

وهذا مثال على عزم النبي ﷺ في تطبيق أحكام الإسلام حتى في حال الشدة ، فالمسلمون بحاجة إلى مساعدة هذا الرجل الشجاع ، وقد ظهر منهم الفرح والارتياح لطلبه مشاركتهم في ذلك المسير ، ولكن النبي ﷺ رفض طلبه لأنه مشرك ، فجيش الإسلام جيش عقيدة هدفهم إعلاء كلمة الله تعالى ، فهم يقاتلون دون إسلامهم حتى الشهادة ، فليس من الحكمة أن يشاركهم في الجهاد من يريدون الدنيا ، إن لاح لهم نصر ثبتوا

(١) البطان للقتب : الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير (الصحاح ، ص ٢٠٧٩) .

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٤٧ .

ليغنموا ، وإن كانت الأخرى ولَّوْا على أعقابهم هاربين ليتركوا جيش العقيدة يصْلَى نار الحرب وحده .

فلما أسلم ذلك الرجل سمح له النبي ﷺ بالمسير معهم لأن هدفه قد تغير من إرادة الدنيا إلى إرادة الآخرة فأصبح داخلا ضمن الهدف العالي الذي ينشده المسلمون ، وبهذا يكون مأمون الجانب ، حيث يعمل مع جيش المسلمين في السراء والضراء .

* * *

٩ – مواقف جهادية عالية لبعض الصحابة –
(استشارة النبي ﷺ أصحابه في القتال)

قال ابن إسحاق : وأتاه – يعني رسول الله ﷺ – الخبرُ عن قُريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق ، فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب ، فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يارسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿**اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون**﴾ – سورة المائدة ٢٤– ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله ﷺ خيرا ودعا له بخير [١] .

---

(١) وقد أخرج قول المقداد رضي الله عنه الإمام البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به . . ثم ذكره نحوه – صحيح البخاري ، المغازي ، رقم ٣٩٥٢ (٧/ ٢٨٧) .

وأخرجه كلك الحاكم من حديث عبد الله بن مسعود وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي – المستدرك ٣/ ٣٤٩ – .

والمقداد بن الأسود هو المقداد بن عمرو البهراني ، وإنما اشتهر بابن الأسود لأن الأسود بن عبد يغوث الزهري كان قد تبناه في الجاهلية فنسب إليه على عادة أهل الجاهلية إلى أن جاء الإسلام بإبطال عادة التبني فنسب إلى أبيه عمرو .

وقال الواقدي في برك الغماد : وبرك الغماد من وراء مكة بخمس ليال من وراء الساحل مما يلي البحر وهو على ثمال ليال من مكة – المغازي ١ / ٤٨ – .

ثم قال رسول الله ﷺ أشيروا علي أيها الناس وإنما يريد الأنصار وذلك أنهم عَدَد الناس (١)، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يارسول الله إنا برآء من ذمامك (٢) حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوّه ، وأن ليس عليهم أن يسيربهم إلى عدوّ من بلادهم .

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ ، قال له سعدُ بن مُعاذ ، والله لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ماجئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عُهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة [فصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت ، وسالم من شئت وعاد من شئت ، وخذ من أموالنا ماشئت وأعطنا ما شئت ، وما أخذت منا أحب إلينا مما تركت ، وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لأمرك] (٣) ، فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، ومانكره أن تلقى بنا عدوّنا غدا إنا لصُبُرٌ في الحرب صُدُق اللقاء ، لعل الله يُريك منّا ما تقرُّ به عينُك ، فسرْ بنا على بركة الله .

فُسرّ رسولُ الله ﷺ بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : سيرُوا

---

(١) أي أكثر الحاضرين .

(٢) أي من معاهدتنا إياك .

(٣) مابين القوسين زيادة من رواية ابن عائد من مرسل عروة ، وابن أبي شيبة من مرسل علقمة بن وقاص – شرح المواهب ١/ ٤١٣ - ٤١٤ - .

وأبشروا ، فإن الله تعالى وَعدني إحدى الطائفتين [1] ، والله لكأني الآن أنظرُ إلى مصارع القوم [2] .

إنهما كلمات معدودات صدرت من سعد والمقداد ومن قبلهما من أبي بكر وعمر ولكنها في المقاييس المعنوية للحروب دفعات قوية من الإيمان نبهت الغافل ودفعت المتردد إلى الإقدام ، وأيقظت المشاعر نحو التجرد من حظ النفس والاندفاع بقوة نحو نصرة دين الله تعالى وإن كان الثمن هو النفوس .

لقد نادوا رسول الله ﷺ « امض يارسول الله فنحن معك » ولسان حالهم يقول فما نحن إلا قبسات من ضوئك وومضات من شعاعك وإنه لمن المستحيل أن يتخلف القبس عن ضوئه .

وإنه لتخطيط محكم من رسول الله ﷺ حيث لم يقدم بهم على دخول المعركة وأمر إقدامهم غير واضح إذ أنهم لم يخرجوا أصلا لقتال ، فاستشارهم في الأمر ليتثبت منهم وليدفع أقوياء الإيمان إلى المشاركة في إنهاض الهمم وشحذ العزائم .

وإنها لشجاعة عظيمة من رسول الله ﷺ حيث قاد المؤمنين وواجه بهم جيشًا يفوقهم في العدد ثلاث مرات كما يتميز عليهم بالاستعداد الحربي ليقضي الله أمرًا كان مفعولا ، ليبوء المشركون بالهلاك والعار ويفوز المسلمون بالنصر والفخار .

---

(١) يعني القافلة التجارية أو جيش قريش .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٥ - ٢٩٦ . وأخرجه الواقدي وذكر نحوه - مغازي الواقدي ١/ ٤٨ - ٤٩ - .

١٠ – مثل من الاهتمام بمعرفة واقع العدو قبل لقائه – (خبر شيخ من العرب ومولى لقريش)

قال ابن إسحاق : ثم نزل قريبًا من بدر [يعني رسول الله ﷺ] ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه [١] .

كما حدثني محمد بن يحى بن حَبان حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قُريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أُخبركما حتى تُخبراني ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله ﷺ : إذا أخبرتنا أخبرناك . قال : أذاك بذاك ؟ قال : نعم ، قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صَدَق الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به رسول الله ﷺ ، وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدَقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش ، فلما فرغ من خبره ، قال ممّن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ : نحن من ماء ، ثم انصرف عنه ، فقال الشيخ : ما من ماء ! أمن ماء العراق ؟ [٢] .

وهكذا استفاد النبي ﷺ من ذلك الأعرابي فأخذ من خبر قريش ، بينما عمَّى عليه خبر جيش المسلمين فلم يعرف عنه شيئًا .

وفي هذا توجيه منه ﷺ لقادة أمته كي يستفيدوا من كل من

---

(١) قال ابن هشام : الرجل هو أبو بكر الصديق .

(٢) قال ابن هشام : يقال : ذلك الشيخ سفيان الضمْري .

يواجهونه في طريقهم لرصد اعدائهم مع الاحتفاظ الكامل بأسرار الجيش الإسلامي .

وما قام به النبي ﷺ من معاملة ذلك الرجل داخل في التوجيه العام الذي جاء في قوله ﷺ « الحرب خدعة » .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر ، يلتمسون الخبر له عليه - كما حدثني يزيدُ بن رُومان عن عُروة بن الزبير - فأصابوا روايةً [1] لقريش فيها أسلم غلامُ بني الحجاج ، وعريضٌ أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد ، فأتوا بهما فسألوهما ، ورسول الله ﷺ قائم يصلي ، فقالا : نحن سُقاة قُريش ، بعثونا نَسْقيهم من الماء ، فكَره القوم خبرهما ، ورَجَوا أن يكونا لأبي سفيان ، فضربوهما فلما أذْلَقوهما قالا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما .

وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتيه ، ثم سلم ، وقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ، صَدَقَا والله إنهما لقريش ! أخبراني عن قُريش ؟ قالا : هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعُدوة القُصوى [2] - والكثيب : العَقَنْقَل [3] - فقال لهما رسول

---

(١) أي فرقة من السقاة .

(٢) أي جانب الوادي الأبعد من المدينة .

(٣) العَقَنقَل الكثيب المتداخل الرمل .

الله ﷺ : كم القوم ؟ قالا : كثير ، قال : ما عدّتُهم ؟ قالا : لاندري ، قال : وكم ينْحرون كل يوم ؟ قالا : يوما تسعًا ، ويومًا عشرًا ، فقال رسول الله ﷺ : القومُ فيما بين التسعمائة والألف .

ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قُريش ؟ قالا : عُتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خُويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدي بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ونفبيه ونُبيه ابنا الحجاج ، وسُهيل بن عمرو وعَمرو بن عبد وُدّ ، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها [1] .

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٧ - ٢٩٨ .

وقد أخرج نحو هذا الخبر الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، كتاب الجهاد ، رقم ١٧٧٩ (ص ١٤٠٣) .

١١ - أبو سفيان يُغيِّر اتجاه العير -

قال ابن إسحاق : وكان بَسْبَس بن عمرو ، وعديّ بن أبي الزَّغْباء قد مَضيا حتى نزلا بدراً ، فأناخا إلى تل قريب من الماء ، ثم أخذا شَنًا لهما يَسْتقيان فيه ، ومجدي بن عُمرو الجهني على الماء ، فسمع عدي وبسبس جاريتين من جواري الحاضر [١] وهما تتلازمان [٢] على الماء والملزومة تقول لصاحبتها : إنما تأتي العير غداً أو بعد غد ، فأعملُ لهم ، ثم أقضيك الذي لك . قال مجديّ : صدقت ، ثم خلص بينهما . وسمع ذلك عدي وبسبس ، فجلسا على بعيرهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ ، فأخبراه بما سمعا .

وأقبل أبو سفيان بن حرب حتى تقدّم العير حذَراً ، حتى ورد الماء ، فقال لمجديّ بن عمرو : هل أحَسنْتَ أحداً ، فقال : ما رأيت أحداً أنكره ، إلا أني قد رأيتُ راكبين قد أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا في شَنّ لهما ، ثم انطلقا .

فأتى أبو سفيان مُناخَهما فأخذ من أبْعار بعيريهما ، ففتّه ، فإذا فيه النَّوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب ، فرجع إلى أصحابه فضرب وجه بعيره عن الطريق فساحل بها ، وترك بدراً بيسار ، وانطلق حتى أسرع [٣] .

---

(١) الحاضر القوم المقيمون الذين لايرحلون من المكان .

(٢) يعني تتماسكان للخصومة .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٩ .

١٢ - تشاؤم قريش من رؤيا جُهيم بن الصلب وتضارب آرائهم -

قال ابن إسحاق : وأقبلت قريشٌ ، فلما نزلوا الجحفة [١] ، رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : إني رأيت فيما يرى النائم ، وإني لبين النائم واليقظان . إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ، ومع بعير له ، ثم قال قُتل عُتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وفلان وفلان ، فعدد رجالاً ممن قتل يوم بدر ، من أشراف قُريش ، ثم رأيته ضرب في لَبَّة بعيره [٢] ، ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْح من دمه .

قال : فبلغت أبا جهل ، فقال : وهذا أيضًا نبي آخر من بني المطلب ! سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا .

وهذه الرؤيا ورؤيا عاتكة قبلها وغيرها من الرؤى المفزعة يراها بعض أفراد الكفار قبيل المعارك الحاسمة مع المسلمين لتكون مخذِّلة لهم وليصابوا من داخل نفوسهم بانهزام معنوي قبل الدخول في المعركة ، وبضد ذلك الرؤي المشجعة التي يراها المسلمون ، وستمر علينا أمثلة لهذين النوعين من الرؤى في الفتوح الإسلامية .

وقول أبي جهل في التعليق على هذه الرؤيا لايعني عدم التأثر بها نفسيا وإنما هو نوع من التجلد الظاهري الذي يقوم به القادة عادة ليُبْقُوا

---

(١) هي ميقات أهل الشام وهي قرب مدينة رابغ الحالية .

(٢) يعني مكان نحره من عنقه .

على تماسك أفراد الجيش ، ولكن مهما حاولوا من ذلك فإن تلك الرؤى المفزعة يظل لها الأثر الكبير في تحطيم معنوية الكفار وتخذيلهم .

قال ابن إسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره ، أرسل إلى قُريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم وأموالكم ، فقد نجاه الله ، فارجعوا فقال أبو جهل بن هشام : والله لانرجع حتى نرد بدراً - وكان بدر موسمًا من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سُوق كلَّ عام - فنُقيم عليه ثلاثا ، فننْحَر الجُزُر ، ونُطعمَ الطعام ونُسْقَي الخمر ، وتَعْزف علينا القيان وتسمع بنا العربُ وبمَسيرنا وجَمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها ، فامضوا [1] .

وهذا لون من ألوان التعاظم والكبرياء التي يتظاهر بها قادة الكفار ليثبتوا وجودهم ويفرضوا هيبتهم .

وهذا الكلام يدل على تدني مستوى الأهداف التي يسعى لتحقيقها زعماء الكفار ، فهم لايؤمنون بالحياة الآخرة أصلا ، ولهذا فإنهم لايعملون لها ولايقاتلون من أجلها ، وكل ما لديهم من أهداف يبذلون من أجلها الأموال ويُعَرِّضون من أجلها حياتهم للخطر إنما تتركز بالسمعة الدنيوية من حب السيطرة والعلو في الأرض والهيمنة على الضعفاء ، وهذا الهدف أوْهَى من خيوط العنكبوت .

ولقد ذكر الله تعالى أهدافهم القاصرة الدنيئة في معرض تحذير المسلمين من أن يسلكوا سبيلهم المنحرف حيث يقول جل ذكره

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٠ .

﴿ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ﴾ - الأنفال / ٤٧ - .

يقول الحافظ ابن كثير بعد ذكر كلام أبي جهل المذكور : فانعكس ذلك عليهم أجمع ، لأنهم لما وردوا ماء بدر وردوا به الحِمَام [١] ، وركُموا في أطواء بدر مهانين أذلاء ، صَغَرَةً أشقياء ، في عذاب سرمدي أبدي [٢] .

فكيف يقابل هؤلاء الأشقياء الرعاع أهدافهم هذه المرذولة بهدف المسلمين العالي الذي يتلخص بإرادة رضوان الله تعالى والسعادة الأخروية ، متخطِّين بذلك كل الأهداف الدنيوية ، كما أثنى الله سبحانه عليهم بقوله **﴿ يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴾** - محمد / ٢٩ - ؟! .

* * *

(١) يعني الموت .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٣٩ .

١٣ - منزل الجيشين ببدر -

قال ابن إسحاق : ومضت قريش حتى نزلوا بالعُدوة القُصوى من الوادي ، خَلف العَـقَنْقل [١] ، وبطنُ الوادي وهو يَليَل بين بدر وبين العقنقل ، الكثيب الذي خلفه قُريش ، والقُلُب ببدر في العُدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة [٢] .

وهكذا نزل المشركون والمسلمون متجاورين لايفصل بينهم إلا وادي يليل وكثيب العقنقل ، وقد كان أبو سفيان أراد أن يرد ذلك الوادي ولكنه شعر بإقبال المسلمين فغيَّر اتجاه العير كما سبق .

وقد ذكر الله سبحانه مكان الطوائف الثلاث بقوله : ﴿ **إذ أنتم بالعُدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا . ليهلك من هلك عن بيِّنة ويَحيَى من حَيَّ عن بيِّنة وإن الله لسميع عليم** ﴾-الأنفال/ ٤٢- .

فالمسلمون قد نزلوا بجانب الوادي الشمالي الأقرب إلى المدينة ، والمشركون قد نزلوا بجانبه الجنوبي الأبعد من المدينة ، ولايفصل بينهم في ليلة المعركة إلا ذلك الكثيب الرملي الذي انحدروا منه في الصباح إلى ساحة المعركة ، وأبو سفيان والركب معه خلف سلسلة الجبال الغربية ، وقد سلك طريق الساحل حينما علم بقرب المسلمين منه .

ولقد شاء الله تعالى أن يصل الجيشان إلى ذلك الوادي في وقت

---

(١) اسم لكثيب الرمل الذي كانت قريش خلفه .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٢ .

واحـد ، ولو أنهم تواعـدوا في ذلك المكـان حينـما فـصلوا من بلادهم لـم يستطيعوا الوصول إليه في وقت واحد كما ذكر الله تعالى في هذه الآية .

وهكذا ذكـر الـلـه سـبـحانه أن نزول الجيشين كـان تقـديراً آلهيّـا ليتم التحامهما فيعلوا الحق وينتصر أهله ، وينخفض الباطل ويُسحق أهله .

ولقـد كـان من تقـدير الله تعـالى أن تنجو العير التجارية التي كـانت مـقصـد المسلمين الأول ، مع أنهـا لاتبعـد كـثيراً عن جيش المسلمين لتتم تلك المعركة العظمى التي فرق الله تعالى بها بين الحق والباطل .

* * *

١٤ – مثلان من إكرام الله تعالى أولياءه –
(التأمين بالنعاس / إنزال المطر)

١ – قال الله تعالى ﴿ **إذ يُغَشِّيكم النعاس أمنة منه وينزّلُ عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبِّت به الأقدام** ﴾ – الأنفال / ١١ – .

قال الحافظ ابن كثير : يذكِّرهم الله تعالى بما أنعم به عليهم من إلقائه الناس عليهم أمانًا أمَّنهم الله به من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم .

ثم ذكر الحديث الذي أخرجه الحافظ أبو يعلى بإسناده عن علي رضي الله عنه قال : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة ويبكي حتى أصبح (١) .

وأخرجه الإمام الطبري من طريق أبي رزين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : النعاس في القتال أمنة من الله عز وجل ، وفي الصلاة من الشيطان (٢) .

فالنعاس في الحرب نعمة من الله تعالى ، وذلك لأن من اعتراه الخوف يزول عنه النوم عادة ، والحرب مهما كان الاستعداد المادي فيها مظنة الخوف ، وكلما كان الاستعداد أقل والعدو أكثر وأقوى كان ذلك

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢١٢ .

(٢) تفسير الطبري ٩ / ١٩٣ .

أدعى إلى القلق وزوال النوم ، والنوم ضروري للجسم حتى يحتفظ بنشاطه وقوته .

ولما كان جيش الكفار في بدر يبلغ ثلاثة أضعاف المسلمين ويفوقهم كثيراً في الاستعداد الحربي كان المتوقع من المسلمين أن يعتريهم ليلة المعركة شيء من الخوف والقلق ، فمنَّ الله تعالى عليهم بإنزال النعاس عليهم حتى ناموا تلك الليلة وأخذوا الراحة الكاملة استعداداً لخوض تلك المعركة المخيفة .

فهذه نعمة مَنَّ الله تعالى بها على أوليائه المؤمنين ليلة بدر ، والنعمة الأخرى نزول المطر عليهم تلك الليلة ، وفي بيان هذه النعمة يقول الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

وأما قوله عز وجل ﴿ **ويُنَزل عليكم من السماء ماء ليُطهركم به** ﴾ فإن ذلك مطر أنزله الله من السماء يوم بدر ، ليطهر به المؤمنين لصلاتهم ، لأنهم كانوا أصبحوا يومئذ مُجنبين على غير ماء ، فلما أنزل الله عليهم الماء ، اغتسلوا وتطهروا ، وكان الشيطان وسوس لهم بما حزَّنهم به ، من إصباحهم مجُنْبين على غير ماء ، فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر ، فذلك ربطُه على قلوبهم ، وتقويت أسبابهم ، وتثبيته بذلك المطر أقدامهم ، لأنهم كانوا التقوا مع عدوهم على رملة هشاء ، فلبدها المطر ، حتى صارت الأقدام عليها ثابتة لاتسوخ فيها ، توطئة من الله عز وجل لنبيه عليه السلام وأوليائه أسباب التمكن من عدوهم ، والظفر بهم .

ثم ذكر الآثار في ذلك عن الصحابة والتابعين ، ومن ذلك مارواه

بإسناده عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزل النبي ﷺ ، يعني حين سار إلى بدر ، والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعْصة [1] ، فأصاب المسلمين ضعف شديد ، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ ، فوسوس بينهم : تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون على الماء ، وأنتم تصلون مُجْنبين ، فأمطر الله عليهم مطرا شديدا ، فشرب المسلمون وتطهروا ، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، وثبت الرمل حين أصابه المطر ، ومشى الناس عليه والدواب ، فساروا إلى القوم ، وأمد الله نبيه بألف من الملائكة ، فكان جبريل عليه السلام في خمس مئة من الملائكة مُجنِّبة ، وميكائيل في خمس مئة مجنِّبة [2] .

وهكذا امتن الله تعالى على أوليائه المؤمنين بإنزال ذلك المطر لهذه النعم العظيمة التي ذكرها وهي :

١ - أن يجدوا ماء يتطهرون به لصلاتهم ، حيث إنهم نزلوا قبيل آبار بدر على غير ماء ولم يكن معهم ماء .

٢ - إزالة وساوس الشيطان عنهم حيث وسوس لهم بإثارة القلق في نفوسهم من الإقدام على الصلاة بغير طهارة .

٣ - تسكين قلوبهم وطمأنتها بأن الله تعالى معهم بجوده وإنعامه

---

(١) أي هشة لينة .

(٢) تفسير الطبري ٩ / ١٩٥ ، والمجنِّبة بكسر الميم وتشديدها هي الكتيبة التي تأخذ إحدى جانبي الجيش .

ومن كان معهم في ذلك فإنهم جديرون بأن يكون معهم بنصره وتأييده وهو المطلب المهم عندهم .

٤ - تثبيت الرمل الذي كان بينهم وبين بدر حتى استطاعوا أن يسيروا عليه هم ودوابهم بسهولة وسرعة ، مما مكنهم من الوصول إلى آبار بدر واختيار المكان المناسب للحرب قبل أعدائهم .

وفي بيان هذه النعمة يقول محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى : وبعث الله السماء ، وكان الوادي دَهْسا [١] فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لبَّدلهم الأرض ولم يمنعهم عن السير ، وأصاب قريشًا منها ما لم يَقْدروا على أن يرتحلوا معه ، فخرج رسول الله ﷺ يُبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به [٢] .

وهذا من إكرام الله تعالى لأوليائه المؤمنين ، فالمطر واحد ولكنه كان رحمة وتيسيراً على المؤمنين ، وكان مشقة وتعويقا للكافرين .

* * *

---

(١) الدهس من الأرض المكان اللين .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٢ .

١٥ - مثل من تربية النبي ﷺ العالية -
(مشورة الحباب بن المنذر)

قال ابن إسحاق : فَحُدِّثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا : أن الحبَاب بن المنذر بن الجموح قال يارسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدّمه ، ولانتأخّر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال : يارسول الله ، فإنّ هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس ، حتى نأتي أدنى ماء من القوم ، فَننزله ، ثم نُغور ماوراءه من القلُب ، ثم نَبني عليه حوضًا فنمْلؤه ماء ثم نُقاتل القوم ، فَنَشرب ولايشربون ، فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرتَ بالرأي فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس ، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالْقُلُب فُغوِّرت ، وبني حَوْضا على القَليب الذي نزل عليه فَمُلِيء ماءَ ، ثم قذفوا فيه الآنية[١] .

وهذا يصور مثلا من حياة الرسول ﷺ مع أصحابه حيث كان أي

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠١ - ٣٠٢ .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر هذه الرواية في ترجمة الحباب بن المنذر ، قال : قال ابن إسحاق في السيرة : حدثني يزيد بن رومان عن عروة وغيره واحد في قصة بدر . . فذكر هذا الخبر - الإصابة / ١/ ٣٠٢ رقم ١٥٥٢ - وهذا إسناد آخر للخبر غير الذي ذكره ابن هشام ، فلعل ابن إسحاق ذكره مرة ضمن حديث بدر الطويل الذي رواه عن عدد من الشيوخ منهم يزيد بن رومان وذكره مرة عن رجال من بني سلمة ، ويؤيد ذلك قول الحافظ ابن حجر « وغير واحد في قصة بدر » فهذا يدل على أن هذا الخبر مروي من عدة طرق ، وعلى أنه ضمن حديث قصة بدر .

فرد من أفراد ذلك المجتمع يدلي برأيه حتى في أخطر القضايا ، ولايكون في شعوره احتمال غضب القائد الأعلى ، ثم حصول ما يترتب على ذلك الغضب من تدني سمعة ذلك المشير أشار بخلاف رأي القائد وتأخره في الرتبة وتضرره في نفسه أو ماله .

إن هذه الحرية التي ربَّى عليها رسول الله أصحابه مكَّنت مجتمعهم من الاستفادة من عقول جميع أهل الرأي السديد والمنطق الرشيد ، فالقائد فيهم ينجح نجاحا باهراً وإن كان حديث السن لأنه لم يكن يفكر برأيه المجرد أو آراء عصبة مهيمنة عليه قد تنظر لمصالحها الخاصة قبل أن تنظر لمصلحة المسلمين العامة ، وإنما يفكر بآراء جميع أفراد جنده ، وقد يحصل له الرأي السديد من أقلهم سمعة وأبعدهم منزلة من ذلك القائد ، لأنه ليس هناك مايحول بين أي فرد منهم والوصول برأيه إلى قائد جيشه .

قال ابن إسحاق : فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدِّث : أن سعد بن معاذ قال : يانبي الله ألا نَبْني لك عريشًا تكون فيه ، ونُعدُّ عندك ركائبك ، ثم نَلقى عدوّنا ، فإن أعزّنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى ، جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوامٌ ، يانبي الله ، ما نحن بأشدَّ لك حبّا منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك ، فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرا ودعا له بخير ثم بُني لرسول الله ﷺ عريش ، فكان فيه (١) .

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٣ .

وجاء في رواية الواقدي أنه النبي ﷺ قال : « أو يقضي الله خيراً من ذلك ياسعد »[1] .

في هذا الخبر موقف جليل لسعد بن معاذ رضي الله عنه وذلك بالاهتمام بسلامة النبي ﷺ ، والاهتمام بمستقبل الإسلام الذي يترتب آنذاك على بقاء رسول الله ﷺ مع البقية الباقية من المسلمين فيما لو حصل على ذلك الجيش إصابة كما أن فيه موقفًا آخر له في ثنائه على إخوانه المؤمنين الذين في المدينة واعتذاره لهم عن تخلفهم بأنهم لم يكونوا يظنون أن رسول الله ﷺ يلقى حربا من أعدائه .

وهذا لايعني أن رسول الله ﷺ قد بقي في ذلك العريش وترك أصحابه يواجهون المعركة وحدهم ، بل كان فيه ليلة المعركة يصلي ويدعو الله تعالى ثم قاد المعركة في الصباح بنفسه ، وشارك فيها - كما سيأتي - .

* * *

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٤٩ .

وسيأتي في خبر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه الإمام البخاري أنه كان في قبة له يوم بدر .

١٧ - مثل من محادة المشركين لله تعالى - (خبرهم مع ابن رحضة الغفاري)

قال ابن إسحاق : وقد كان خُفاف بن أيْماء بن رحْضة الغفاريّ ، أو أبوه أيْماء بن رحَضة الغفاري ، بعث إلى قريش ، حين مَرُّوا به ابنًا له بجزائر أهداها لهم ، وقال : إن أحَببتم أن نُمدّكم بسلاح ورجال فَعلنا . قال : فأرسلوا إليه مع ابنه : وَصَلَتْكَ رحم ، قد قضيتَ الذي عليك فَلَعَمْري لئن كنّا إنما نُقاتل الناسَ فما بنا من ضَعْف عنهم ، ولئن كنّا إنما نقاتل الله ، كما يزعم محمَّدٌ ، فما لأحد بالله من طاقة [١] .

وهل قال ذلك زعماء المشركين عن اعتقاد قلبي ، أم قالوه للتهويل من شأن النبي ﷺ وأصحابه ؟ الحقيقة أن أكثرهم كانوا يعلمون صدق النبي ﷺ في دعوته ، وقد سبق بيان تصريح أبي جهل وغيره بذلك ولكن منعهم من الإيمان به الحسد واتباع الهوى المنحرف ، فهم قد خرجوا في ذلك المسير وهم يعلمون بأنهم يحادون الله تعالى بقتال رسوله ﷺ ، ولكنهم لا يريدون أن يعترفوا بأن رسول الله ﷺ موصول بربه جل وعلا لأن ذلك يعطيه قوة عظمى وسمعة عالية بين العرب بينما يؤدي ذلك إلى خذلانهم وهبوط سمعتهم الحربية .

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٤ .

١٨ – مثل من تسامح النبي ﷺ مع بعض الكفار –
(نفر من الكفار يشربون من حوض المسلمين)

قال ابن إسحاق : فلما نزل الناسُ أقبل نفرٌ من قريش حتى وَرَدُوا حوض رسول الله ﷺ : فيهم حكيم بن حزام ، فقال رسولُ الله ﷺ : دعوهم . فما شرب منه رجلٌ يومئذ إلا قتل [١] ، إلا ما كان من حكيم بن حزام ، فإنه لم يُقتل ، ثم أسلم بعد ذلك ، فحسُن إسلامه ، فكان إذا اجتهد في يمينه ، قال : لا والذي نجاني من يوم بدر [٢] .

في هذا الخبر مثل من تسامح النبي ﷺ مع الأعداء الذين جاؤوا وهم بحاجة إلى الماء ولم يقوموا بتحدي المسلمين ولم يظهروا غطرسة الكفار وجبروتهم ، فغلب على النبي ﷺ اعتبار جانب الرحمة فسمح لهم بالشرب من ذلك الحوض ، ولم ير مسوغا لمنعهم نكاية بالأعداء لكونهم جاؤوا بصورة الحاجة والاستعطاف .

وماجاء في الخبر من قول حكيم بن حزام رضي الله عنه إذا اجتهد في يمينه « لا والذي نجاني يوم بدر » تصوير للنقلة العظمى التي نقله – وأمثاله – إليها الإسلام .

* * *

(١) يعني في المعركة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ / ٣٠٤ .

١٩ - شهادة للمسلمين من أعدائهم -
(عمير بن وهب يقدر عدد المسلمين واختلاف في جيش قريش)

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار وغيرهُ من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار ، قالوا : لما اطمأن القوم ، بعثوا عُمير بن وَهْب الجُمَحي فقالوا : احزُرْ لنا أصحاب محمد ، قال : فاستجال بفرسه حول العَسْكر ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاث مئة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقُصون ، ولكن أملهوني حتى أنْظر ألْلقَوم كميٌ أو مَدَد ؟ قال : فضرب في الوادي حتى أبْعد ، فلم يَرَ شيئًا ، فرجع إليهم ، فقال : ما وجدتُ شيئًا ، ولكنّي قد رأيتُ يامعشر قُريش البَلايا تَحْمل المَنايا ، نواضحَ يَثْرب تحمل الموت الناقع [1] قوم ليس معهم مَنعة ولامَلْجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرَى أن يُقتَل رجلٌ منهم حتى يَقتل رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك ؟ فَرَوْا رأيكم .

وهكذا كان عمير بن وهب ناجحًا في تقديره المقارب لعدد جيش المسلمين ، وفي وصفه البليغ لقوة المسلمين ومدى ثباتهم ، حيث أبان بأنهم ليس معهم من الإبل ما يكفي لفرارهم فيما إذا كانت الدائرة عليهم ، وهذا يعني أنهم سيستميتون في الدفاع عن أنفسهم حتى يَقتُلوا على الأقل عددهم من الكفار ، أو تكون الأخرى حيث ينهزم الكفار أمامهم لشدة ثباتهم ولكون الكفار قد أعد كل واحد منهم نجيبة يفرُّ عليها عند اللزوم ، وزعماء الكفار لايريدون كلا النتيجتين .

---

(١) يعني أن إبل المدينة جاءت تحمل سبب موتنا المحقق .

هذا مع أن عمير بن وهب آنذاك - كسائر الكفار - لايعتقد أي تفوق معنوي للمسلمين فهو يعتبر الفرد منهم كأي فرد من البشر ، فكيف به لو أدرك بأن الواحد منهم في الطاقة عن عشرة لما يحملونه من إرادة طلب الشهادة حيث يبذلون كل ما لديهم من طاقة في الهجوم ؟ ! .

ثم كيف به فوق ذلك لو أدرك بأنهم موصولون بحبل من الله تعالى وأنهم أهل لأن يمدهم بجنود من ملائكته ؟ ! كيف به وبقومه لو أدركوا ذلك ؟ ! إذًا لفزعوا فزعا يشل حركتهم وينسيهم أوهامهم البالية التي يقدسونها ويقاتلون من أجلها .

ومع غياب هذا التصور فإننا نجد عقلاءهم قد تأثروا ببيان عمير بن وهب فأشاروا بالعودة وترك القتال ، وإلى هذا يشير محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى في روايته حيث يقول :

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس ، فأتى عُتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ، إنك كبير قُريش وسيدُها ، والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لاتزال تُذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وماذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس - وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي ، قال : قد فعلتُ ، أنت علي بذلك ، إنما هو حليفي ، فعلي عقله [1] وما أصيب من ماله ، فأت ابن الحنظليّة [2] ، فإني لا أخشى أن يَشْجُر أمر

---

(١) أي ديته .

(٢) قال ابن هشام : والحنظلية أم أبي جهل .

الناس غيره ، يعني أبا جهل بن هشام ثم قام عُتبة بن ربيعة خطيبًا ، فقال : يامعشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدًا وأصحابه شيئًا ، والله لئن أصبتموه لايزال الرجلُ ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه ، أو ابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئتُ أبا جهل ، فوجدته قد نَثَل درعا له من جرابها ، فهو يهنئها (١) - فقلت له : يا أبا الحكم إن عُتبة أرسلني إليك بكذا وكذا ، للذي قال ، فقال : انتفخ والله سحره (٢) حين رأى محمد وأصحابه ، كلا والله لانرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعُتْبة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمدًا وأصحابه أكلة جزُور (٣) ، وفيهم ابنُه ، قد تخوَّفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضْرمي ، فقال : هذا حليفُك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيتُ ثأرك بعينك ، فقُم فانشد خُفْرتك (٤) ومَقْتل أخيك .

فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف (٥) ثم صرخ : واعَمْراه ! واعَمْراه! فحميت الحربُ ، وحَقب أمرُ الناس (٦) ، واستوثقوا على ماهم عليه من الشرّ ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عُتبة .

---

(١) قال ابن هشام : يهيئها .

(٢) أي جبن وخاف كأن الخوف ملأ جوفه فانتفخ سحره أي رئته .

(٣) يعني لايزيدون على مائة ، وذلك لأن الله تعالى قلل المؤمنين في أعينهم .

(٤) الخفرة : الذمَّة .

(٥) يعني خلع ثيابه .

(٦) أي فسد .

فلما بلغ عتبة قول أبي جهل « انتفخ سحره » قال : سيعلم مصفر استه [1] من انتفخ سحره ، أنا أم هو [2] .

وأخرجه الواقدي وذكر نحوه وزاد : فقال - يعني أبا جهل - لعمير ابن وهب : حرِّش بين الناس ، فحمل عمير فناوش المسلمين لأن ينقض الصف ، فثبت المسلمون على صفهم ولم يزولوا ، وتقدم ابن الحضرمي فشد على القوم فنشبت الحرب [3] .

وأخرج نحوه باختصار الحافظ البزار ، ذكر ذلك الحافظ الهيثمي وقال : ورجاله ثقات [4] .

وهكذا تغلَّب رأي السفهاء الحاقدين الذين غابت عن تفكيرهم جميع مناحي المثل العليا ، ونداءات العقل السليم ، ومَثُلت أمام ناظرهم جوانب الحقد اللئيم ونوازع الانتقام النكد ، فغطت على نداءات العقول ، وشحذت بحرارة ولهيب نداءات العواطف الجامحة ، والأهواء المتأججة ، وكان حامل كبر ذلك طاغية قريش أبو جهل فرعون هذه الأمة .

لقد ورم أنف أبي جهل وساءه أن يرى دولة الإسلام في عز ونهوض ورام من إرادة تقويضها ما الله حائل بينه وبينه ، فأبى أن يُصيخَ

---

(1) هذا كناية عن الجبن .

(2) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٥ - ٣٠٧ .

(3) مغازي الواقدي ١/ ٦٥ .

(4) مجمع الزوائد ٦/ ٧٦ .

سمعة لنداء العقل والحكمة الذي أطلقه بعض حكماء قريش كعتبة بن ربيعة وحكيم بن حزام ، ودفعه حقده الأليم إلى إشعال بوادر الحرب وإثارة مهيجاتها ليضيع صوت العقل والحكمة في خضمِّ العصبية الجاهلية وتلبية النداءات العاطفية الطائشة .

* * *

٢٠ - مثل من نصر الله تعالى أولياءه -
(تقليل الكفار في أعين المؤمنين)

قال الله تعالى ﴿ **إذ يريكَهُمُ الله في منامك قليلا ولو أرَكَهُم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سَلَّم إنه عليم بذات الصدور . وإذ يُريكُمُوهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويُقَلِّلكم في أعينهم ليقضي الله أمرًا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور** ﴾ - الأنفال / ٤٣ - ٤٤ - .

فهذه نعمة من الله تعالى على أوليائه المؤمنين ولونٌ من ألوان نصره إياهم ، يقول الإمام ابن جرير في تفسيره الآية الأولى ، يريكهم في نومك قليلا فتخبرهم بذلك ، حتى قويت قلوبهم واجترؤوا على حرب عدوهم ، ولو أراك ربك عدوك وعدوهم كثيرًا لفشل أصحابك فجبنوا وخافوا ولم يقدروا على حرب القوم ، ولتنازعوا في ذلك ، ولكن الله سلَّمهم من ذلك بما أراك في منامك من الرؤيا .

ورَوَى في تفسير الآية الثانية بإسناده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لقد قُلِّلوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي : تراهم سبعين ؟ قال : أراهم مئة ، قال : فأسرنا رجلاً منهم فقلنا : كم هم ؟ قال : كنا ألفا (١) .

وقال الحافظ ابن كثير : ومعنى هذا أن الله تعالى أغرى كلاً من الفريقين بالآخر ، وقلَّله في عينه ليطمع فيه ، وذلك عند المواجهة ، فلما

---

(١) تفسير الطبري ١٠/ ١٢ - ١٣ .

التحم القتال وأيَّد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين بقي حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعفَيْه ، كما قال تعالى ﴿ **قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثلَيْهم رأيَ العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار** ﴾ آل عمران / ١٣ - .

وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين فإن كلا منهما حق وصدق ولله الحمد والمنة (١) .

فالضمير الأول في (يرونهم) للكفار والثاني للمؤمنين ، أي يرى الكفار المسلمين مثليهم بعد أن التحمت المعركة ، وهذه آية عظيمة لأن عدد المسلمين يبلغ ثلثهم ومع ذلك رأوهم ضعفيهم ، فأما قبل المعركة فإن الله تعالى قللهم في أعين الكفارين حتى قال عنهم أبو جهل في خلافه مع عتبة بن ربيعة « ولكن قد رأى أن محمداً وأصحابه أَكَلَة جزور» كما في الموضوع السابق ، والناقة عادة تكفي مائة ، فكانوا يرون المسلمين بهذا القدر لما قللهم الله في أعينهم .

* * *

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٣٨ .

٢١ – موقف جهادي لحمزة بن عبد المطلب – (خبر الأسود المخزومي ومقتله)

قال ابن إسحاق : وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي ، وكان رجلاً شرسًا سيء الخُلق ، فقال : أُعاهد الله لأشربن من حوضهم ، أو لأهدمنه ، أو لأموتن دونه ، فلما خرج خرج إليه حمزةُ بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قَدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخُب رجله دما نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد زعم أن يبرّ يمينه ، وأتبعه حمزةُ فضربه حتى قتله في الحوض [١] .

وهذا أول من قُتل من المشركين بيد أسد الله تعالى حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وقد كان النبي ﷺ قد سمح لطائفة منهم بالاستقاء من حوض المسلمين كما سبق لما كان الدافع لهم هو الحاجة إلى الماء ، فلما جاء هذا اللئيم الشرس يتحدى المسلمين كان له بطل الإسلام حمزة بالمرصاد فقضى عليه ولقَّن أمثاله من الحاقدين المتعجرفين درسًا لاينُسى .

* * *

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٣٠٨ .

٢٢ – مواقف بطولية لبعض الصحابه –

(خبر المبارزة بين المسلمين والكفار)

أخرج الواقدي عن شيوخه قالوا : فخرج عُتبة وشيبة والوليد حتى فصلوا من الصفّ ، ثم دعوا إلى المبارزة ، فخرج إليهم فتيانٌ ثلاثةٌ من الأنصار ، وهم بنو عَفْراء ، مُعاذ ومُعوِّذ وعَوْف ، بنو الحارث – ويُقال ثالثهم عبد الله بن رواحة ، والثبت عندنا أنهم بنو عفراء – فاستحيى رسول الله ﷺ من ذلك ، وكره أن يكون أول قتال لقي المسلمون فيه المشركين في الأنصار ، وأحب أن تكون الشوكة لبني عمه وقومه ، فأمرهم فرجعوا إلى مصافّهم ، وقال لهم خيراً . ثم نادى مُنادي المشركين : يامحمّد ، أخرج لنا الأكفاء من قومنا . فقال لهم رسول الله ﷺ : يابني هاشم ، قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم ، إذ جاءُوا بباطلهم ليُطفئوا نور الله . فقام حمزة بن عبد المطلب . وعليّ ابن أبي طالب . وعُبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف . فمشوا إليهم ، فقال عُتبة : تكلموا نعرفكم – وكان عليم البيض فأنكروهم – فإن كنتم أكفاء قاتلناكم . فقال حمزة : أنا حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله . قال عُتبة : كفءٌ كريم . ثم قال عُتبة : وأنا أسد الحلْفاء ، من هذان معك ؟ قال : عليٌّ بن أبي طالب وعُبيدة بن الحارث . قال : كفآن كريمان .

قال ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : لما أسمع لعتبة كلمة قطُّ أوهن

من قوله « أنا أسد الحلفاء » يعني بالحلفاء الأجَمَة . ثم قال عُتبة لابنه : قم ياوليد . فقام الوليد . وقام إليه عليٌّ ، وكان أصغر النفر ، فقتله عليٌّ عليه السلام . ثم قام عُتبة ، وقام إليه حمزة ، فاختلفا ضربتين فقتله حمزة رضي الله عنه . ثم قام شيبة ، وقام إليه عُبيدة بن الحارث – وهو يومئذ أسّن أصحاب رسول الله ﷺ – فضرب شيبة رجل عُبيدة بذُباب السيف ، فأصاب عَضَلَة ساقه فقطعها ، وكرّ حمزة وعليٌّ على شيبة فقتلاه ، واحتملا عُبيدة فحازاه إلى الصف ، ومُخّ ساقه يسيل ، فقال عُبيدة ، يارسول الله ألستُ شهيدًا ؟ قال : بلى . قال : أما والله ، لو كان أبو طالب حيًا لعلم أنّا أحقٌّ بما قاله منه حين يقول :

كذبتم وبيت الله نُخْلي محمدا ... ولمَّا نطاعن دونه ونناضل

ونُسلمَه حتى نصرَّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل[1]

وأخرجه محمد بن إسحاق وذكر نحوه [2] .

وكذلك أخرجه الحاكم وذكر نحوه [3] .

وذكر الحافظ ابن حجر أن هذا الخبر أخرجه الإمام أبو داود من طريق حارثة بن مضرب عن علي رضي الله عنه قال : « تقدم عتبة وتبعه ابنه وأخوه ، فانتدب له شباب من الأنصار ، فقال : لا حاجة لنا فيكم

(١) مغازي الواقدي ١/ ٦٨ - ٧٠ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٩ .

(٣) المستدرك ٣/ ١٨٨ .

إنما أردنا بني عمنا ، فقال رسول الله ﷺ : قم ياحمزة ، قم ياعلي ، قم ياعبيدة ، فأقبل حمزة إلى عتبة ، وأقبلت إلى شيبة ، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان ، فأثخن كل واحد منهما صاحبه ، ثم ملْنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة » .

قال الحافظ ابن حجر : قلت : وهذا أصح الروايات ، لكن الذي في السير من أن الذي بارزه علي هو الوليد هو المشهور ، وهو اللائق بالمقام لأن عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة ، بخلاف علي والوليد فكانا شابين ، وقد روى الطبراني بإسناد حسن عن علي قال : أعنت أنا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة فلم يعب النبي ﷺ ذلك علينا ، وهذا موافق لرواية أبي داود ، والله أعلم [(١)] .

وهكذا تبين لنا من كلام الحافظ ابن حجر أن أصح الروايات في هذا الموضوع رواية أبي داود التي ساندتها أيضًا رواية الطبراني على أن المبارز لعتبة حمزة ، والمبارز لشيبة علي ، والمبارز للوليد عبيدة ، وانتقد هذه الرواية الصحيحة بمخالفتها لما في كتب السِّير من أن الذي بارزه علي هو الوليد وأن هذا هو المشهور .

وهذا ذهاب من الحافظ ابن حجر - وهو من المحققين - إلى اعتبار قول أهل الاختصاص وتقديمه على أنه مجال من مجالات الترجيح بين الأقوال ، فرواية أبي داود أصح من حيث السند ، وهذه مزية ظاهرة ،

---

(١) فتح الباري ٧ / ٢٩٨ .

ولكن اتفاق المؤرخين على اعتبار أن الذي بارز الوليد بن عتبة هو علي رضي الله عنه يعتبر مزية مقابلة ، وقد يكون الخبر صحيحا من حيث الإسناد ولكن يكون فيه خطأ في المتن ، لكن الحافظ لم يجزم بترجيح أحد القولين بل ذكر مايرجح كل قول وأسند علم ذلك إلى الله تعالى .

وقد اتفقت روايتا الواقدي وابن إسحاق على أن المبارز لعلي هو الوليد بن عتبة ، واختلفتا في المبارزين لحمزة وعبيدة ، فجاء في رواية الواقدي أن المبارز لحمزة هو عتبة بن ربيعة وأن المبارز لعبيدة هو شيبة بن ربيعة ، وجاء في رواية ابن إسحاق أن المبارز لحمزة هو شيبة وأن المبارز لعبيدة هو عتبة ، ولكن رواية الواقدي أرجح في ذلك لأنها تتفق في هذه النقطة مع رواية أبي داود ، ولأن هند بنت عتبة قد حرصت - كما يأتي في أحد - على قتل حمزة ، ولما قتل أكلت من كبده لأنه هو الذي قتل أباها يوم بدر .

هذا ومن المواقف البارز في هذا الحدث ما كان من تسابق الأنصار الثلاثة إلى مبارزة المشركين ، والمبارزة هي أخطر أنواع الحرب حيث إنها مواجهة لخطر الموت المباشر ، لأن الذين يتقدمون للمبارزة عادة يكونون من الشجعان المعدودين .

وحينما اعترض عتبة بن ربيعة على تقدم هؤلاء وأراد أن يكون المتقدمون من بني عمه بادر النبي ﷺ إلى أمر حمزة بن عبد المطلب وعلي ابن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بأن يتقدموا لمبارزة المشركين الثلاثة .

وكـون النبي ﷺ يقدم ثلاثة من أقاربه الأدنين يعتبر تضحية كبيرة وتوجيها لقادة الدعوة من أمته إلى أن يعتبروا من أهم عوامل نجاحهم أن يكون القائد هو وأقاربه في مقدمة الكفاح والقيام بالمهامِّ الشاقة .

وماذكر عبيدة بن الحارث لرسول الله ﷺ من شعر أبي طالب يعتبر نوعا من الوفاء بالعهد الذي أبرمه أبو طالب ، وكأنه يقول : إذا كان أبو طالب - وهو في حال الكفر - قد تعهد بتقديم هذه التضحية فإن المسلمين من قرابة النبي ﷺ أحق منه بتقديم هذه التضحية .

* * *

٢٣ – مثل من عدالة النبي ﷺ
(خبر سواد بن غُزَيَّة)

قال ابن إسحاق وحدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه : أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قدح[١] يعدل به القوم ، فمر بسواد بن غزية ، حليف بن عدي بن النجار[٢] وهو مُستنتل من الصف[٣] فطعن في بطنه بالقدح ، وقال : استو ياسواد ، فقال يارسول الله ﷺ أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني ، قال فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال : استقد ، قال : فاعتنقه فقبل بطنه ، فقال : ما حملك على هذا ياسواد ؟ قال : يارسول الله ، حضر ما تَرى فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدي جلدك ، فدعا له رسولُ الله ﷺ بخير ، وقالَه له[٤] .

وقال الحافظ ابن حجر في ترجمة سواد بن غزية رضي الله عنه : وروى عبد الرزاق عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه[٥] أن النبي ﷺ كان يتخطى بعرجون[٦] فأصاب به سواد بن غزية الأنصاري . . فذكر القصة[٧] .

---

(١) القدح بكسر القاف العصا الصغيرة ، وقد جاء في الرواية التالية أنها كانت من عراجين النخل .

(٢) قال ابن هشام : ويقال : سوَّاد (مثقَّلة) وسواد في الأنصار غير هذا مخفف .

(٣) أي متقدم عليه ، وقال ابن هشام : ويقال : مستنصل من الصف ، أي خارج منه .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٠ .

(٥) هو محمد بن علي بن الحسين الملقب بالباقر .

(٦) العرجون هو أصل القنو الذي يكون في ه التمر .

(٧) الإصابة ٢/ ٩٤ رقم ٣٥٨٢ .

وهذا الموقف من سواد بن غزيَّة رضي الله عنه يدل على شدة تعلقه برسول الله ﷺ وكَلَفه بمحبته ، وهكذا كان كل الصحابة رضي الله عنهم .

وكون النبي ﷺ كشف بطنه له ليستقيد منه يعتبر مثالا على العدالة الكاملة التي كان يتصف بها رسول الله ﷺ ، وهو في ذلك يعتبر قدوة عليا لجميع الولاة الذين يتولون شيئًا من أمور الأمة في إنصاف أفراد رعيتهم من أنفسهم ، ومن غيرهم من الكبراء من باب أولى .

* * *

٢٤ - دعاء النبي ﷺ ومناشدته ربه جل وعلا -

قال ابن إسحاق : ثم عدّل رسولُ الله ﷺ الصفوف ، ورجع إلى العريش فدخله ، ومعه فيه أبو بكر الصدّيق ، ليس معه فيه غيره ، ورسولُ الله ﷺ يُناشد ربه ما وَعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لاتعبد ، وأبو بكر يقول : يانبي الله ، بعض مُناشدتك ربك فإن الله مُنجزٌ لك ما وعدك . وقد خفق رسولُ الله ﷺ خَفْقه [١] وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصرُ الله هذا جبريل آخذٌ بعنان فرس يقوده ، على ثناياه النقع يعني الغُبار [٢] .

وقد ذكر ابن إسحاق رحمه الله أن النبي ﷺ قال لما رأى جيش الكفار ينحدر من الكثيب الذي جاؤوا منه : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أحنْهم [٣] الغداة [٤] .

وقد أخرج خبر دعاء النبي ﷺ ومناشدته ربه الإمام البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبة يوم بدر : اللهم إني أنشُدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لاتُعبد بعد اليوم ، فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك يارسول الله ، ألححت على

(١) أي نام نومة يسيرة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١١ .

(٣) أي اهلكهم .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٤ .

ربك ، وهو يثبُ في الدرع ، فخرج هو يقول ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾ - القمر / ٤٥ - [١] .

وأخرج ذلك الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر نظر رسولُ الله ﷺ إلى المشركين وهُم ألفٌ ، وأصحابهُ ثلاثُمائة وتسعة عشر رجُلاً ، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ، ثمُ مد يديه فجعل يهتفُ بربه « اللهُم ! أنجز لي ماوعدتني . اللهُم ! آت ماوعدتني . اللهمُ ! إن تهلك هذه العصابةُ من أهل الإسلام لاتُعبد في الأرض » فما زال يهتلف بربه ، مادًا يديه ، مُستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاهُ أبو بكر . فأخذ رداءه فألقاهُ على منكبيه . ثم التزمه من ورائه . وقال : يانبي الله كفاك مُناشدتك ربك . فإنه سيُنْجزُ لك ما وَعَدك . فأنْزَلَ اللهُ عز وجل ﴿ **إذ تستغيثُون ربكُم فاستجابَ لكم أنّي مُمدُّكُمْ بألف من الملائكة مُرْدفينَ** ﴾ [٢] - الأنفال / ٩ - فَأمَدَّهُ اللهُ بالملائكة [٣] .

وقال الصالحي رحمه الله تعالى : وأخرج البيهقي بسند حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ماسمعت مناشداً ينشد مقالة أشد مناشدة من رسول الله ﷺ لربه يوم بدر ، جعل يقول : « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتبعد » ثم التفت

---

(١) صحيح البخاري ، التفسير ، رقم ٤٨٧٥ (٨/ ٦١٩) .

(٢) أي متتابعين .

(٣) صحيح مسلم ، الجهاد ، رقم ١٧٦٣ (ص ١٣٨٤) .

كأن وجهه شقة قمر فقال : « كأنما أنظر إلى مصارع القوم العشية » [1] .

وذكره الحافظ الهيثمي من رواية الإمام الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال : ورجاله ثقات إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه [2] .

وذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى هذا الدعاء ثم قال : هكذا حكى السهيلي عن قاسم بن ثابت أن الصديق رضي الله عنه إنما قال : «بعضَ مناشدتك ربك » من باب الإشفاق لما رأى من نصَبه في الدعاء والتضرع ، حتى سقط الرداء عن منكبيه ، فقال : بعضَ هذا يارسول الله ، أي لمَ تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر ؟ وكان رضي الله عنه رقيق القلب شديد الإشفاق على رسول الله ﷺ .

قال : وحكى السهيلي عن شيخه أبي بكر بن العربي قال : كان رسول الله ﷺ في مقام الخوف ، والصديق في مقام الرجاء ، وكان مقام الخوف في هذا الوقت - يعني أكمل - قال : لأن الله أن يفعل ما يشاء ، فخاف أن لايُعبد في الأرض بعدها ، فخوفه ذلك عبادة [3] .

وهكذا كان رسول الله ﷺ مع الله تعالى أولاً وآخرا يستلهم منه النصر والتأييد ، وكان مع ذلك يعمل بجميع الأسباب الممكنة للوصول

---

(١) سبل الهدى والرشاد ٤/ ٣٧ .

(٢) مجمع الزوائد ، وأبو عبيدة هو ابن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) البداية والنهاية ٣/ ٢٧١ - ٢٧٢ .

إلى النصر ، ولما انتهى من إعداد جيشه رجع إلى العريش يدعو ربه بإلحاح أن ينزّل نصره على تلك الفئة المؤمنة .

لقد اتصلت قوة الأرض الضعيفه بقوة الله جل وعلا القاهرة العظيمة . فاكتسبت قوة الأرض مددا إلهيا جباراً ، وأصبحت قوةً عظيمة لايمكن الوقوف في وجهها ، مهما بلغ العَدد ، ومهما كانت العُدَد .

لقد تم ربط حبل متين سام بين السماء والأرض ، طرفه على لسان سيد الأولين والآخرين ﷺ ، وطرفه الآخر عند الله عز وجل . لقد تم هذا الاتصال المباشر بغير الوسائط التي يألفها الناس ، لأن الله جل جلاله قريب من عباده ، وكان توجيه المعركة بيد الله عز وجل ، الذي بيده النصر ، وله العزة والقهر .

وما أروع العباد المؤمنين وهم يستلهمون النصر من الله تعالى ، ويكلُون إليه مصائرهم ، ويعتمدون عليه في جميع أمورهم .

وما أتعس الكافرين وهم يستلهمون النصر من قوى البشر الضعيفة الواهية .

إن مجرد تصور وجود الله عز وجل في المعركة مع المؤمنين بنصره وتأييده ليكسبهم قوة عاليه ، ويرفع من كفاءتهم ، مهما كانت ضعيفة في القياس المادي .

وإن تصور ذلك لدى الكافرين ليخلع قلوبهم لو عقلوا ، ويُسلمهم غنيمة للمسلمين من غير بذلك جهد كبير .

إن الإنسان المؤمن بالله تعالى وإن طرأت عليه ظروف يكون فيها ضعيفا أو مغلوبا على أمره ، فإن اتصاله الصادق بالله تعالى يجعله أقوى قوة في هذه الأرض ، إنه موصول بحبل الله المتين ، ومن كان الله معه لايمكن أن يُغلب إذا كان صادقا مع الله تعالى .

وكان جواب الله تعالى على ابتهال نبيه ﷺ هو ما نزل في قوله تعالى ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنّي مُمدُّكم بألف من الملائكة مُردفين** ﴾ يعني يتبع بعضهم بعضا ، والله جل وعلا قادر على أن ينصر نبيه ﷺ بغير واسطة الملائكة ، ولكنه جل وعلا أراد أن يبشر أولياءه بنصره ، وأن يُطمئن قلوبهم ، قال تعالى ﴿ **وما جعله الله إلا بشرى ولتطْمَئنَّ به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ .

ولقد أنزل الله تعالى ملائكته بقيادة جبريل عليهم السلام فخرج النبي ﷺ من العريش وهو يقول : ﴿ **سيهزم الجمع ويولُّون الدُّبُر** ﴾ ، ويقول : هنا مصرع فلان ، وهنا مصرع فلان ، لأناس سماهم من صناديد قريش ، فما جاوزوا المكان الذي حدده رسول الله ﷺ .

* * *

٢٥ - مثل من الشوق العظيم للجنة -
(خبر عمير بن الحمام ورغبته في الشهادة)

أخرج الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في سياقه لغزوة بدر أن النبي ﷺ قال : « قُومُوا إلى جنة عرضُها السماوات والأرض » قال : يقُولُ عمير بن الحمام الأنصاري : يارسول الله ! جنة عرضها السماوات والأرض ؟ قال : « نعم » قال : بخ بخ [١] .

فقال رسول الله ﷺ « ما يحملكُ على قولك بخ بخ » قال : لا والله يارسول الله إلا رجاءة [٢] أن أكون من أهلها . قال « فإنك من أهلها» فأخرج تمرات من قرنه [٣] . فجعل يأكلُ منهن . ثم قال : لئن أنا حييتُ حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياةُ طويلة . قال فرمى بما كان معه من التمر . ثم قاتلهم حتى قتل [٤] .

في هذا الخبر نجد مثلاً عاليًا من قوة ارتباط النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم بالجنة ، فالرسول ﷺ يعد الشهداء بالجنة ، والمؤمنون يتسابقون إلى الشهادة حرصا على الظفر بالجنة .

---

(١) أي عظيم عظيم فهي كلمة تطلق لتفخيم الأمر .

(٢) وفي رواية رجاء وهما بمعنى واحد .

(٣) أي جعبة النشاب .

(٤) صحيح مسلم ، الإمارة رقم ١٩٠١ (ص ١٥١٠) .

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم بنحوه وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبي - المستدرك ٣/ ٤٢٦ - .

وأخرجه ابن إسحاق بنحوه سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٢ .

ونجد عمير بن الحمام يبلغ به حرصه على الجنة إلى أن يرمي التمرات من يده ، وأنْ يرى أنَّ وقت أكلها وقت طويل ، لأنه يفصل بينه وبين دخول الجنة ، وإنْ كان ذلك الوقت في عرف الناس قصيراً .

لقد كان الشعور القوي بالحياة الآخرة متمثلاً في حياة الصحابة رضي الله عنهم ، فكانت قلوبهم عامرة بالخوف من النار والشوق إلى الجنة ، وكان تردد خواطرهم بين مقامي الخوف والرجاء حافزاً قويًا على تقوى الله تعالى والزهد في الحياة الدنيا والتسابق في ميادين الجهاد في سبيل الله تعالى .

* * *

٢٦ – مثل من الشوق إلى رضوان الله تعالى – (خبر عوف بن الحارث)

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث ، وهو ابن عفراء ، قال : يارسول الله ، ما يُضحك الرب من عبده ؟ قال : غمْسهُ يده في العدو حاسراً [١] ، فنزع درعًا كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل [٢] .

وهذا مثل آخر من اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بالحياة الآخرة ، يتمثل في طلب مواطن رضوان الله تعالى ، يُقَدِّمه عوف بن مالك الأنصاري رضي الله عنه حيث يسأل رسول الله ﷺ عن الموطن الذي يبلغ فيه الدرجات العلى من رضوان الله تعالى ، فيأتي جواب النبي ﷺ بأنه يكون من في إقحام النفس في المغامرات المهلكة طلبا للشهادة ، ومن ذلك أن ينطلق المجاهد في نحر العدو كالسَّهم الحديد الذي لاتحول العوائق دون بلوغه هدفه ، وهو حاسر غير متدرع بما يقيه من سلاح الأعداء .

ومثل هذا يغلب على الظن وقوعه شهيدا في ساحة الأعداء ، ولكن بعد أن يُثخن فيهم قتلا ، لأن النفوس التي لاتؤمن بالآخرة يفرُّ أصحابها من الشجعان المغاوير ، خاصة الحُسَّر من الدروع ، لأن رمي الدرع يعتبر علامة على الاستقتال وطلب الموت ، ومن كان كذلك فإن مواجهته تعتبر من الخطر الذي يحذر منه .

---

(١) يعني غير لابس للدرع .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٢ .

٢٧ - استفتاح أبي جهل ومافيه من العبر -

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مُسْلم بن شهاب الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العُذري ، حليف بني زهرة ، أنه حدّثه : أنه لما التقى الناسُ ودنا بعضهم من بعض ، قال أبو جهل بن هشام : اللهم أقْطَعنَا للرحم ، وآتانا بما لايُعْرف ، فأحنْه الغداةَ [١] ، فكان هو المُسْتَفْتح [٢] .

وأخرجه الإمام أحمد والحاكم من حديث الإمام الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير أن أبا جهل حين التقى القوم قال : اللهم أيُّنا كان أقطع للرحم ، وآتانا بما لانعرف فأحنْه الغداة ، فكان ذلك استفتاحه فأنزل الله تعالى ﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نَعُدْ ولن تغني عنكم فئتكم شيئًا ولو كثرت وإنَّ الله مع المؤمنين** ﴾ [٣] .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي [٤].

من الغريب جدًا أن يدعو أبو جهل بهذا الدعاء وهو يشرك بالله تعالى ويحارب دعوة التوحيد ، فهل كان حين دعا صادقًا في دعوته ،

---

(١) أي أهلكه أول النهار .

(٢) أي الحاكم على نفسه .

(٣) الأنفال / ١٩ .

(٤) الفتح الرباني ٢١ / ٤٤ ، المستدرك ٢/ ٣٢٨ .

وأنه يعتقد بأنه وحزبه أقرب إلى رضوان الله تعالى من رسوله ﷺ وأوليائه المؤمنين ؟ ! .

الواقع أن أبا جهل قد صرح قديمًا بأن محمداً ﷺ رسول من عند الله حقا ، وأن الذي منعه من الإيمان به حسدُه لبني عبد مناف حيث قال في تسويغ كفره بالنبي ﷺ : تنازعْنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا ، حتى تحاذينا على الرُّكب وكنا كفرسيْ رهان قالوا : منَّا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه ؟ (١) .

ولكن الدافع لأبي جهل في دعائه هذا سياسي ، وذلك أنه أراد كسب الموقف بمحاولة تقوية معنوية جيش قريش ، حيث إن فيهم من يميل إلى تصديق النبي ﷺ والاعتقاد بأنه منصور من الله تعالى ، فدعا بهذا الدعاء تبجُّحًا ليُثبت لهؤلاء بأن محمداً ﷺ ليس بأقرب منهم إلى الله تعالى .

وهكذا الكفار في كل زمن يرفعون عقيرتهم عند الضرورة بدعوى القرب من الله تعالى ليؤثروا على البسطاء والسذَّج ، وليسحبوا البساط من تحت أرجل المؤمنين ، ولكن الحق واضح لكل ذي فهم ثاقب وبصيرة مدركة ، إذ تجرد من الهوى المنحرف .

* * *

---

(١) انظر الجزء الأول ص ١١٤ .

٢٨ - مثل من نصر الله تعالى أولياءه -

أخرج الإمام الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه : ناولني كفًا من حصى ، فناوله فرمى به وجوه القوم ، فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء ، فنزلت ﴿ **ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ - الأنفال / ١٧- .

ذكره الهيثمي وقال : ورجاله رجال الصحيح ، وذكر روايتين عن الطبراني من حديث حكيم بن حزام وحسَّن إسنادهما [١] .

وهذا مثل من نصر الله تعالى لرسوله ﷺ ولعباده المؤمنين ، كما أنه معجزة من معجزات النبي ﷺ حيث وصل كف الحصباء إلى عيون جميع الكفار .

* * *

---

(١) مجمع الزوائد ٦/ ٨٤ .

٢٩ - مثل من الوفاء لأهل الفضل -
(رسول الله ﷺ ينهى عن قتل أبي البختري)

ذكر ابن إسحاق خبر نهي النبي ﷺ من قتل عدد من المشركين منهم أبو البختري العاص بن هشام بن الحارث بن أسد ثم قال : وإنما نهى رسولُ الله ﷺ عن قتل أبي البَخْتَري لأنه كان أكفَّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة ، وكان لايؤذيه ، ولايبلُغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريشُ على بني هاشم وبني المطلب . فلقيه المُجذَّر بن ذَياد البلَوي ، حليف الأنصار ، ثم من بني سالم بن عوف ، فقال المجذَّر لأبي البختري : إن رسول الله ﷺ قد نهانا عن قتلك - ومع أبي البختري زميل له ، قد خرج معه من مكة ، وهو جُنادة ابن مُلَيْحة بنت زُهير بن الحارث بن أسد ، وجُنادة رجلٌ من بني ليث . واسمُ أبي البختري العاص - قال : وزميلي ؟ فقال له المُجذّر : لا والله ، ما نحن بتاركي زميلك ، ما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك ، فقال : لا والله ، إذن لأموتَن أنا وهو جميعًا ، لاتتحدَّث عني نساء مكة أني تركت زميلي حرْصًا على الحياة ، فقال أبو البختري - حين نازله المجذّر وأبى إلا القتال - يرتجز :

لن يُسْلم ابنُ حُرّة زميله ... حتى يموت أو يرى سَبيلَه

فاقتتلا فقتله المجذّرُ بن ذياد وقال المجذر بن ذياد في قتله أبا البختري :

إمّا جهلت أو نَسيتَ نَسَبي ... فَأثْبت النِّسبة أني من بَلي [1]

---

(١) بليٌّ بطن من قبيلة قضاعة .

الطّاعنين بـرمــاح اليَزَني والضاربين الكَبْش حتى يَنْحني [1]

بَشِّر بيُتم من أبيه البختــري أو بَشِّـرنْ بمـثلـهـا منّـي بَنـي

أنا الذي يُقال أصْلي من بلي أطـعنُ بالصـَّعدة حـتى تَنْثَني [2]

وأعْبطُ القِرْن بعَضْب مَشْرَفي [3] أرْزِمُ للمـوت كـإرزام المــري [4]

فلا تـرى مجذَّراً يفْري فَريّ [5]

قـال ابن إسـحـاق : ثم إن المجـذر أتى رسـول الله ﷺ ، فـقـال : والذي بعـثك بالحق لقد جـهدتُ عليـه أن يستـأسـر فـآتيكَ به فـأبى إلا أن يُقاتلني ، فقاتلتهُ فقتلتُه [6] .

في هذا الخبـر نلاحظ مثلاً من الوفاء لأهل الفضـل والمعروف وإن

(١) قـوله اليزني نسبـة إلى ذي يزن وهو والـد سيف بن ذي يزن المشهـور والكبش المراد به رئيس القوم وأميرهم .

(٢) الصعدة القناة المستوية .

(٣) أي أقتل المنازل في الحرب بالسيف القاطع .

(٤) أي أشـتـد لـلموت ، وقـال ابن هشـام : « المري » من غـيـر ابن إسـحاق ، والمري الناقـة التي يُستنزل لبنها على عسر .

(٥) أي لا يأتي أحد بمثل عمله .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٤ - ٣١٦ .

وأخـرجه الإمـام الطبري من طريق ابن إسـحاق بهذا الإسناد - تاريخ الطبري ٢/ ٤٤٩-٤٥١ .

وذكره الحافظ ابن كثير من رواية ابن إسحاق بهذا الإسناد - البداية والنهاية ٣/ ٢٨٤-٢٨٥ .

وأشار الحافظ ابن حجر إلى هذه الرواية في ترجمة المجذر ، وأشار إلى روايتين لابن إسحاق من طريق زهري ومن طريق عروة وغيرهما - الإصابة ٣/ ٣٦٣ - .

كانوا كافرين ، فقد نهى النبي ﷺ عن قتل أبي البختري العاص بن هشام مكافأة له على ما سبق منه من مواقف حميدة في مكة أيام ضعف المسلمين ، حيث كان من أبرز فريق أهل الاعتدال من الكفار الذين قاموا بنقض صحيفة البغي والعدوان ، وقد سبق بيان موقفه مع أبي جهل حينما آذى رسول الله ﷺ فقام أبو البختري معه وسب أبا جهل وضربه .

وفي هذا الخبر يبين لنا رسول الله ﷺ أهمية مكافأة أهل الفضل وردّ الجميل إليهم وإن كانوا كافرين .

وموقف للمجذَّر بن ذياد البلوي رضي الله عنه الذي حفظ وصية النبي ﷺ بذلك الرجل فحاول به أن يستأسر حتى يحقن دمه ، ولكن اضطر إلى أن يقتله حينما أصر على القتال .

والخبر يظهر لنا إلى جانب ذلك صورة من شجاعة المجذر الذي استطاع قتل أبا البختري وزميله الذي من أجله ثبت أبو البختري ورفض الاستسلام .

كما يظهر لنا براعة المجذر في شعر الرجز الحربي الحماسي البليغ ، وقد كانوا يستعينون بذلك الرجز على استنهاض الهمم وكسر شوكة العدو ، وقد اشتمل ذلك الرجز على شيء من الافتخار بالنفس وهذا لايصدر من الصحابة رضي الله عنهم إلا في حال الحرب ، وقد أقره النبي ﷺ لما فيه من تقوية المسلمين وإضعاف الكافرين .

* * *

٣٠ - مشاركة الملائكة يوم بدر وما في ذلك من العبر -

مشاركة الملائكة يوم بدر مع المؤمنين مقطوع بها لما نزل في ذلك من الآيات القرآنية وذلك في قول الله تعالى ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون . إذ تقول للمؤمنين ألنْ يكفيكم أن يُمدكُم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة مُنْزَلين . بلى إن تصبروا وتَتَّقُوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوِّمين . وماجعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئنَّ قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم** ﴾ - آل عمران / ١٢٣ - ١٢٦ - . وقوله تعالى ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني مُمدُكم بألف من الملائكة مردفين . وماجعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ - الأنفال / ٩-١٠ - وقوله تعالى ﴿ **إذ يوحي ربك إلى الملائكة أنّي معكم فثَبِّتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان** ﴾ -الأنفال / ١٢- وهذه الآية تفيد أن الملائكة عليهم السلام شاركوا في القتال نفسه إلى جانب ماقاموا به من تثبيت المؤمنين وطمأنة قلوبهم .

أما أخبار السيرة فقد رُويتْ في ذلك مجموعة من الأحاديث ، وسأكتفي بذكر ثلاثة أحاديث صحيحة ، أولها مارواه الإمام البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما « أن النبي ﷺ قال يوم بدر : هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب »[١] .

---

(١) صحيح البخاري ، المغازي ، رقم ٣٩٩٥ (٧/ ٣١٢) .

وثانيها مارواه الإمام مسلم بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

بينما رجلٌ من المسلمين يومئذ يشتدُ في أثر رجل من المشركين أمامه . إذ سمع ضربة بالسوط فوقه . وصوت الفارس يقول : أقدم حيزُومُ[1] . فنظر إلى المُشرك أمامهُ فخرَّ مستلقيًا . فنظر إليه فإذا هو قد خُطم أنفهُ ، وشُق وجهُهُ كضربة السوط . فاخضرَّ ذلك أجمعُ . فجاءَ الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ . فقال « صدقت . ذلك من مدد السماء الثالثة » فقتلوا يومئذ سبعين . وأسروا سبعين[2] .

وثالثها ما أخرجه الإمامان أحمد والبزار من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قصة بدر وقد جاء فيه : فجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيرا ، فقال العباس : يارسول الله إن هذا والله ما أسرني ، أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجها على فرس أبلق ، ما أراه في القوم ، فقال الأنصاري : أنا أسرته يارسول الله ، فقال: اسكت فقد أيدك الله بملك كريم .

ذكره الحافظ الهيثمي وقال : رواه أحمد والبزار ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مَضْربَ وهو ثقة ، وذكره أيضًا من رواية الإمام أحمد وقال : ورجاله رجال الصحيح[3] .

(١) اسم فرس الملك .

(٢) صحيح مسلم رقم ١٧٦٣ (ص ١٣٨٤) .

(٣) مجمع الزوائد ٦/ ٧٦ ، ٨٥ .

إن إنزال الملائكة عليهم السلام من السموات العلى إلى الأرض لنصر المؤمنين حدث عظيم .

إنه قوة عظمى ، وثبات راسخ للمؤمنين حينما يوقنون بأنهم ليسوا وحدهم في الميدان ، وأنهم إذا حققوا أسباب النصر واجتنبوا موانعه فإنهم أهل لمدد السماء ، وهذا الشعور يعطيهم جرأة على مقابلة الأعداء وإن كان ذلك على سبيل المغامرة ، لبُعد التكافؤ المادي بين جيش الكفار الكبير عدداً القوي إعداداً ، وجيش المؤمنين القليل عدداً الضعيف إعداداً .

وهو في نفس الوقت عامل قوي في تحطيم معنوية الكفار وزعزعة يقينهم ، وذلك حينما يشيع في صفوفهم احتمال تكرر نزول الملائكة الذين شاهدهم بعضهم عيانا .

إنهم مهما قدروا قوة المسلمين وعددهم فإنه سيبقى في وجدانهم رعب مزلزل من احتمال مشاركة قُوى غير منظورة ، لايعلمون عددها ولا يقدِّرون مدى قوتها .

ولقد رافق هذا الشعور المؤمنين في كل حروبهم التي خاضها الصحابة رضي الله عنهم في العهد النبوي وفي عهد الخلفاء الراشدين ، كما رافق بعض المؤمنين بعد ذلك ، فكان عاملاً قويا في انتصاراتهم المتكررة الحاسمة مع أعدائهم .

* * *

٣١ – إبليس يَخْذل المشركين –

تقدم أن إبليس – لعنه الله – ظهر للمشركين بصورة سراقة بن مالك المدلجي وقال لهم حينما خافوا أعداءهم على ذراريهم : أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه .

وقد استمر إبليس يسير معهم وهو متلبِّس بصورة هذا الزعيم القبلي الشجاع ليقويهم ويشد من عزمهم على القتال ، وقد أخرج خبره بعد ذلك الإمام الطبراني من حديث رفاعة بن رافع ، قال : لما رأى إبليس ما فعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يُخلَص إليه ، فتشبَّث به الحارث ابن هشام وهو يظن أنه سراقة بن مالك ، فوكز في صدر الحارث ثم خرج هاربًا حتى ألقى نفسه في البحر ورفع يديه فقال : اللهم إني أسألك نظرتك إياي وخاف أن يخلص القتل إليه .

وأقبل أبو جهل فقال يامعشر الناس لايهولَنَّكم خذلان سراقة بن مالك فإنه كان على ميعاد من محمد ، ولايهولنكم قتل شيبة وعتبة والوليد فإنهم عجلوا ، فو اللات والعزى لانرجع حتى نقرنهم بالحبال ، فلا ألفينَّ رجلا منكم قتل رجلا ولكن خذوهم أخذًا حتى تعرفوهم سوء صنيعهم من مفارقتهم إياكم ورغبتهم عن اللات والعزى . ثم قال أبو جهل متمثلاً :

ما تنقمُ الحربُ الشموسُ مني ... بازلُ عامين حديثُ سنّي

لمثل هذا ولدتني أمي

ذكره الحافظ ابن كثير[1] .

(١) البداية والنهاية ٣/ ٢٨٣ .

وهكذا خدع إبليس أولياءه الكافرين ، فدفعهم إلى المعركة ، وحلَّ لهم مشكلة كانت عائقا لهم عن الإقدام ليصل بهم إلى ما كان يريد الوصول إليه من القضاء على الإسلام ، فالكفار جميعا من جند إبليس يسخِّرهم لصد دعوة الحق ، إما بالوسوسة وهو الغالب وإما بأن يتمثل لهم بصورة بشر يعرفونهم ويعرفون مكانتهم ووزن الكلام الذي يقولونه كما في هذا الخبر ، وإما في صورة رجل مجهول يمنحهم التأييد والمشورة .

ولكن إبليس - لعنه الله - لم يستطع إكمال أدوار الخداع وذلك لَمَّا رأى الملائكة عليهم السلام ، وقد نزلوا من السماء لنصر المؤمنين وتأييدهم ، فخشي أن يصلوا إليه ، وولَّى هاربا .

وهكذا يُبْنَى الباطل على أوهى من خيوط العنكبوت ، حتى إذا ظهر جنود الإيمان وحققوا لأنفسهم شروط النصر والتمكين تداعت قواعد بنيان الباطل ، فخرَّ على أهله ، ثم كشف لهم بعد ذلك أن تدبيرهم كان تدميراً لهم ، وأنهم قد صنعوا بمخططاتهم نهايتهم .

وقام أبو جهل يلملم خيوط العنكبوت التي تمزقت فيحاول تثبيت الكفار ، فحكم على فرار الشيطان - الذي مازالوا يعتقدون بأنه سراقة ابن مالك - بأن ذلك كان على اتفاق بينه وبين المسلمين ، وأن قتْلَ ثلاثة من زعمائهم كان بسبب استعجالهم ، وكان قادراً على أن يشير عليهم قبل ذلك بالتريُّث .

ويصل به حقده وغروره إلى أن يشير على قومه بأن لايقتلوا المسلمين قتلا وأن يأخذوهم أسرى ليذلوهم ويُجبروهم على ترك معتقدهم .

ويشاء الله تعالى خلاف مايريد هذا الطاغية ، فتدور الدائرة عليه وعلى جيشه ، ويَقْتُل منهم المسلمون طائفة ويأسرون طائفة ويشرِّدون بقيتهم .

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى موقف إبليس هذا منهم في بدايته ونهايته حيث يقول جل وعلا ﴿ **وإذ زيَّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لاترون إني أخاف الله والله شديد العقاب** ﴾ - الأنفال / ٤٨ - .

وقد جاء عن حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية ما يوافق الخبر السابق الذي أخرجه الإمام الطبراني وذلك فيما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته ، في صورة رجل من بني مدلج في صورة سراقة بن مالك بن جعشم ، فقال الشيطان للمشركين : لاغالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، فلما اصطف الناس أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين ، فولوا

مدبرين ، وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس ، فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين ، انتزع يديه ثم ولى مدبراً وشيعته ، فقال الرجل : ياسراقة أتزعم أنك لنا جار ؟ فقال : إني أرى ما لاترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ، وذلك حين رأى الملائكة [1] .

*　*　*

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٤٠ ، وهذا الخبر من صحيفة علي بن أبي طلحة وإسنادها صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما .

٣٢ - مقتل أمية بن خلف ومافيه من مواقف وعبر -

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه ، قال ابن إسحاق : وحدّثنيه أيضًا عبد الله بن أبي بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : كان أمية بن خلف لي صديقًا بمكة ، وكان اسمي عبدَ عمرو ، فتسمّيت - حين أسلمتُ - عبدَ الرحمن ، ونحن بمكة ، فكان يَلْقاني إذ نحن بمكة فيقول : ياعبد عمرو ، أرغبتَ عن اسم سمّاكَه أبواك ؟ فأقول : نعم ، فيقول : فإني لا أعرف الرحمن ، فاجعل بيني وبينك شيئًا أدعوك به ، أمّا أنت فلا تُجيبني باسمك الأول ، وأما أنا فـلا أدعوك بما لا أعرف ! قال : فكان إذا دعاني : ياعبد عمرو ، لم أُجبْهُ . قال فقلت له : يا أبا علي ، اجعل ماشئت ، قال : فأنت عبدُ الإله ، قال : فقلت : نعم ، قال : فكنت إذا مررت به قال : ياعبد الإله ، فأجيبه ، فأتحدث معه . حتى إذا كان يوم بدر ، مررت به وهو واقف مع ابنه علي بن أمية ، آخذ بيده ، ومعي أدراع ، قد استلبتُها ، فأنا أحملها ، فلما رأني قال لي : ياعبد عمرو فلم أجبه ، فقال ياعبد الإله ؟ فقلت : نعم ، قال هل لك فيّ فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع التي معك قال قلت : نعم ها الله إذًا [1] قال : فطرحت الأدراع من يدي ، وأخذتُ بيده.ويد ابنه ، وهو يقول : ما رأيت كاليوم قط ، أما لكم حاجةٌ في اللبن ؟ قال ثم خرجت أمشي بهما .

قال ابن هشام : يريد باللَّبن أن مَنْ أسرني افتديتُ منه بإبل كثيرة اللبن .

---

(١) أي والله فحذف واو القسم ووضع مكانها الهاء تسهيلا .

قال ابن إسحاق : حدثني عبدُ الواحد بن أبي عون عن سعيد بن إبراهيم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال لي أمية بن خلف ، وأنا بينه وبين ابنه ، آخذٌ بأيديهما : ياعبد الإله ، من الرجُل منكم المُعْلَم بريشة نعامة في صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب ، قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل .

قال عبد الرحمن : فو الله إني لأقودهما إذ رآه بلالٌ معي - وكان هو الذي يعذِّب بلالاً بمكة على ترك الإسلام فيُخرجه إلى رَمْضاء مكة إذا حميت ، فيُضْجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصّخرة العظيمة فتُوضع على صدره ، ثم يقول : لاتزال هكذا أو تفارق دين محمد ، فيقول بلال : أحدُ أحد . قال : فلما رآه قال : رأس الكُفر أُمية بن خلف ، لانجوت إن نجا . قال : قلت : أي بلال ، أبأسيريّ ! قال : لانجوت إن نجا . قال قلت : أتسمع يابن السّوْداء قال : لانجوت إن نجا .

قال : ثم صرخ بأعلى صوته ، يا أنصار الله ، رأس الكفر أُمية بن خلف ، لانجوت إن نجا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المَسكة [1] وأنا أذبُّ عنه . قال : فأخلف رجلٌ السيف ، فضرب رجلَ ابنه فوقع ، وصاح أمية صيحة ماسمعتُ مثلها قط . قال : فقلت أنج بنفسك ، ولانجاء بك ، فو الله ما أُغني عنك شيئًا . قال : فهبَّروهُما بأسيافهم ، حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالاً ، ذهبت أدْراعي وفَجَعني بأسيريّ [2] .

---

(١) يعني في مثل السوار أو الخلخال .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٦ - ٣١٨ ، وأخرجه الإمام البخاري مختصرا من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه رقم ٢٣٠١ (٤٤/ ٤٨٠) .

في هذا الخبر مواقف وعبر فمن ذلك :

أولاً : ما جاء فيه من الشهادة بشجاعة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وقد جاءت هذه الشهادة من أحد زعماء الكفار أمية بن خلف حيث قال عن حمزة « ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل » وهذا يعني أنه رضي الله عنه قد فتك بجيش الأعداء حتى أثخن فيهم قتلا وتشريدا .

ثانيًا : ما جرى من بلال رضي الله عنه حينما رأى عدوه اللدود أمية بن خلف الذي كان يسومه أقسى وأعنف أنواع العذاب في مكة ، فلما رآه في يد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أسيرًا صرخ بأعلى صوته « لانجوت إن نجا » .

إنه موقف من مواقف التشفي من أعداء الله ، والتشفي من عتاة الأعداء في الحياة الدنيا نعمة يفرِّج الله بها عن المكروبين من المؤمنين الذين ذاقوا الذل والهوان على أيدي أولئك الطغاة ، يقول الله تبارك وتعالى في هذا المعنى ﴿ **قاتلوهم يعذبْهم الله بأيديكم ويُخزهم وينصركم عليهم وَيشْف صدور قوم مؤمنين . ويُذْهبْ غيظ قلوبهم** ﴾ - التوبة / ١٤ - ١٥ .

وأن فيما جرى لأمية بن خلف من ذلك المصير المفزع عبرة للمعتبرين ودرسًا بليغًا للطغاة المتجبِّرين ، الذين يغترون بقوتهم وينخدعون بجاههم ومكانتهم ، فيعتدون على الضعفاء ويسلبونهم حقوقهم ، وإن ما يحسُّون به في أثناء ممارسة عدوانهم من فرح ونشوة

ستكون عاقبته وخيمة عليهم في الآخرة ، وقد يصابون بالمصير المخزي في الدنيا قبل الآخرة كما جرى لأمية بن خلف وأمثاله من طغاة الكفار .

ثالثًا : موقف لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حيث ترحَّم على بلال رضي الله عنه مع ماجرى منه من معارضته وانتزاع الأسيرين من يده بقوة الأنصار الذين استنجد بهم رضي الله عنهم ، أما ماتفوَّه به من مناداة بلال بقوله « أتسمع يابن السوداء » فإن ذلك كان في ساعة غضب ، ولهذا لم يؤاخذه بلال على ذلك .

* * *

٣٣ – موقف لأم صفوان بن أمية –

قال الواقدي : فحدّثني محمّد بن قُدامة ، عن أبيه ، عن عائشة بنت قُدامة ، قالت : قيل لأُم صفوان بن أمية ، ونَظَرَتْ إلى الُحباب بن الُمنذر بمكة : هذا الذي قطع رجْل عليّ بن أمية يوم بدر . قالت : دعونا مـن ذكر مَن قُتل على الشرك ! قد أهان الله عَليًا بضربة الُحباب بن الُمنذر ، وأكرم الله الُحباب بضربه عَليًا ، قد كان على الإسلام حين خرج من هَاهنا ، فقُتل على غير ذلك [1] .

وهذا موقف جليل من هذه المرآة المؤمنة يدل على قوة إيمانها ورسوخ يقينها حيث اتضحت لها عقيدة الولاء والبراء ، فأصبحت تحب المسلمين وإن كانوا من غير قبيلتها وتكره الكافرين وإن كانوا من ابنائها .

وقولها عن ابنها علي « قد كان على الإسلام حين خرج من ههنا فقُتل على غير ذلك » تعني أنه كان ممن عُرف عنهم الإسلام بمكة وخرجوا مع قومهم يوم بدر مكرهين فلما التقى الصفان فتنوا حينما رأوا قلة المسلمين فقالوا : قد غر هؤلاء دينهم ، فنزل فيهم قول الله تعالى **﴿ إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غَرَّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم ﴾** – الأنفال / ٤٩ – [2] .

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٨٥ .

(٢) تفسير الطبري ١٠/ ٢١ ، سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٠ .

٣٤ - مواقف وعبر في مقتل أبي جهل -

أخرج الإمامان البخاري ومسلم - واللفظ له - من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال : بينما أنا واقف في الصف يوم بدر . نظرتُ عن يميني وشمالي . فإذا أنا بين غلامين من الأنصار . حديثة أسنانهُما . تمنيتُ لو كنت بين أضلعَ منهُما . فغمزني أحدُهما . فقال : ياعم ! هل تعرف أبا جهل ؟ قال : قُلتُ : نعم . وما حاجتك إليه يابن أخي ؟ قال : أُخبرتُ أنه يسُب رسُول الله ﷺ . والذي نفسي بيده لئن رأيتهُ لايُفارق سوادي سوادهُ[1] حتى يمُوت الأعجلُ منَّا . قال : فتعجبت لذلك . فغمزني الآخرُ فقال مثلها . قال : فلم أنشبْ أن نظرتُ إلى أبي جهل يزُول[2] في الناس . فقُلتُ : ألا تريَان ؟ هذا صاحبكُما الذي تسألان عنهُ . قال : فابتدراهُ ، فضرباهُ بسيفيهما ، حتى قتلاه . ثُم انصرفا إلى رسول الله ﷺ . فأخبراهُ . فقال « أيُّكُما قتلهُ ؟ » فقال كُلُّ واحد منهما : أنا قَتَلتُ . فقال « هلْ مسحتُما سيفَيْكُما ؟ » قالا : لا . فنظَرَ في السيفين فقال « كلاكُما قَتَلهُ » وقضى بسَلَبه لُمعاذ بن عمرو ابن الجموح . (والرجلان : مُعاذ بنُ عمرو بن الجمُوح ومُعاذُ بن عفراء)[3] .

---

(١) أي شخصي شخصه .

(٢) أي يتحرك ولايستقر .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد ، رقم ١٧٥٢ (ص ١٣٧٢) صحيح البخاري ، كتاب فرض الخمس رقم ٣١٤١ (٦/ ٢٤٦) واخرجه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وذكر مثله - المستدرك ٣/ ٤٢٥ - .

وقال ابن إسحاق في هذا الخبر : وكان أول من لقي أبا جهل ، كما حدثني ثورُ بن يزيد ، عن عكرمة عن ابن عباس ، وعبد الله بن أبي بكر أيضًا قد حدّثني ذلك ، قالا : قال مُعاذ بن عمرو بن الجموح ، أخو بني سلمة . سمعتُ القومَ وأبو جهل في مثل الحرَجة [1] وهم يقولون : أبو الحكم لايُخلص إليه . قال : فلما سمعتُها جعلتُه من شأني ، فصَمَدْت نحـوه ، فلما أمْكنني حملتُ عليه فضربتهُ ضربة أطَنَّتْ قدمَه بنصف ساقه ، فو الله ما شبهتّها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضَخَة النَّوى حين يُضرب بها . قال : وضربني ابنهُ عكْرمة على عاتقي فطَرح يدي ، فتعلقتْ بجلدة من جنْبي ، وأجْهضني القتالُ عنه ، فلقد قاتلتُ عامّةَ يومي وإني لأسْحبُها خلفي ، فلما آذتْني وضعتُ عليها قَدمي ، ثم تَمَطيتْ بها عليها حتى طرحتُها .

قال ابن إسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمانُ عثمان .

ثم مر بأبي جهل وهو عقيرُ مُعوِّذ بن عفراء ، فضربه حتى أثْبَته ، فتركه وبه رمق ، وقاتل معوذ حتى قتل [2] .

قال ابن إسحاق : فمر عبد الله بن مسعود بأبي جهل ، حين أمرَ رسول الله ﷺ أن يُلْتمس في القتلى ، وقد قال لهم رسول الله ﷺ - فيما بلغني - إنظروا ، إن خَفي عليكم في القتلى ، إلى أثر جرح في رُكبته ،

---

(١) قال ابن هشام : الحرجة الشجر المتلف وفي الحديث عن عمر بن الخطاب أنه سأل أعرابيا عن الحرجة قال : هي شجرة بين الأشجار لايوصل إليها .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٢١ .

فإني ازدحمتُ يومًا أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جُدعان ، ونحن غلامان ، وكنت اشفَّ منه بيَسير ، فدفعته فوقع على رُكبتيه ، فجُحش[1] في إحداهما جحْشا لم يزل أثرهُ به .

قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رَمق فعرفته ، فوضعتُ رجلي على عُنقه - قال : وقد كان ضَبَث بي [2] مَرَّةً بمكة فآذاني ولكزني ثم قلت له : هل أخزاك الله ياعدوّ الله ؟ قال وبماذا أخْزاني ! أأعمد[3] من رجل قتلتموه ؟ أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله [4] .

وأخرجه الإمام البخاري مختصرا من عدة طرق [5] وأخرج الإمام الطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال أدركت أبا جهل يوم بدر صريعًا فقلت : أي عدو الله قد أخزاك الله قال : وبِمَ أخزاني ؟ منْ رجل قتلتموه [6] ومعي سيف لي فجعلت أضربه ولايحتكُّ فيه شيء ومعه سيف له جيد فضربت يده فوقع السيف من يده فأخذته ، ثم كشفت المغفر عن رأسه فضربت عنقه .

ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال : آللَّه الذي لا إله إلا هو ، قلت :

(١) أي خدش .

(٢) قال ابن هشام : ضبث : قبض عليه ولزمه .

(٣) يعني وهل أكثر ، وجاء في احدى روايات البخاري : وهل فوق رجل قتلتموه ؟ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٢٢ .

(٥) صحيح البخاري ، المغازي رقم ٣٩٦١ ، ٣٩٦٢ ، ٣٩٦٣ (٧/ ٢٩٣) .

(٦) سقط منه كلمة « هل أعمد » أو نحوها كما في الروايات السابقة .

الله الذي لا إله إلا هو قال : انطلق فاستثبت فانطلقت وأنا أسعى مثل الطائر ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك ، فأخبرته فقال رسول الله ﷺ انطلق فانطلقت معه فأريته ، فلما وقف عليه ﷺ قال : هذا فرعون هذه الأمة .

رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب ابن أبي كريمة وهو ثقة (١) .

في هذا الخبر برواياته المتعددة مواقف منها :

أولاً : ما جرى من هذين الشابين الأنصاريين من طموح إلى خوض أخطر مغامرة في قتال جيش الكفار وهي الوصول إلى أبي جهل الذي كان محميًا بفرسان عشيرته وعلى رأسهم ابنه الشجاع عكرمة رضي الله عنه .

وهذان الشابان هما معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجي ، ومعاذ ابن الحارث بن رفاعة الخزرجي رضي الله عنهما ، ويسمى معوِّذًا كما جاء في بعض الروايات ، وهما أخوان من أم وهي عفراء ، وقد اشتهر معاذ بن الحارث بالنسبة إلى أمه (٢) .

وحينما انطلقا إلى أبي جهل سبق معاذ بن عمرو بن الجموح إليه فقطع ساقه ولكن عكرمة بن أبي جهل عاجله بضربه أطاحت بيده ، أما أخوه معاذ بن الحارث فإنه ضربه بعدما سقط ، ولكن بقي فيه رمق .

---

(١) مجمع الزوائد ٦/ ٧٩ .

(٢) الإصابة ٣/ ٤٠٨ - ٤٠٩ رقم ٨٠٤١ و ٨٠٥٣ .

ونظرًا لكون معاذ بن عمرو هو الذي سبق إلى أبي جهل فإن النبي ﷺ قضى بسلبه له ، لأنه قد قام بالمهمة الكبرى في قتل ذلك الطاغية ، ولكنه ﷺ أقرَّ للأخوين بالاشتراك في قتله ، وفي ذلك مواساة لمعاذ بن الحارث الذي أخبر عن نفسه بأنه قد قتله .

لقد كان الدافع إلى مغامرة ذينك الشابين هو ما سمعاه من أن أبا جهل كان يسب رسول الله ﷺ ، وهكذا تبلغ محبة الصحابة لرسول الله ﷺ إلى حد بذل النفس في سبيل الانتقام ممن تعرض له بالأذى .

وإننا لنجد في هذا الاندفاع القوي نحو ركوب المخاطر صورة من مجالات الطموح التي كانت تهيمن على أفكار شباب الصحابة رضي الله عنهم ، بينما كان الشباب الآخرون في قبائل العرب وغيرهم يهيمن على قلوبهم التفكير في مجالات إشباع الشهوات ، وتُعمر مجالسهم بالتنافس في الملذات الدنيوية .

ثانيًا : ما جرى من معاذ بن عمرو بن الجموح حينما واصل الجهاد ويده مقطوعة ، فلما أصبحت هذه اليد المتدلية بجلدتها عائقًا له دون بذل الجهد في القتال تمطى عليها حتى طرحها .

سبحان الله ! أما كان يكفي هذا الشاب أن قُطعت يده في سبيل الله تعالى ؟ ! .

أما كان في هذه الإصابة مندوحة له عن مواصلة الجهاد ؟ ! .

أمـا كـان يحق له أن ينزوي في ناحيـة من نواحي العسكر يعـالج جراحه ؟ ! .

بلى ، كان يحق له ذلك ، ولكنه كان يحمل روحًا عالية ، وهمة سامية ، كان يحمل هـمَّ حماية هـذا الـدين العظيم ، وحماية رسول الله ﷺ والمؤمنين ، وما كـان له - والحال هذه - أن يقدِّم حمـاية جسده على حماية هذه المباديء السامية ، وإن نفسه لتهون في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى .

ثالثًا : ما جرى بين عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأبي جهل وهو في الرمق الأخير من الحوار فيه عبرة بليغة ، فهذا الطاغية الذي كان شديد الأذى للمسلمين في مكة - وخاصة المستضعفين منهم - قد وقع صريعًا بين أيدي من كان يؤذيهم .

ويشاء الله تعالى أن يكون الذي يقضي على آخر رمق من حياته هو أحد المستضعفين الذين كان يؤذيهم في مكة ، وقد كان في ذلك شيء من تشفِّي المؤمنين من أعدائهم الذي مر الكلام عليه في خبر بلال رضي الله عنه مع أمية بن خلف .

ولقـد كان أبو جهل مستكبرًا جبارًا حتى وهو صريع وفي آخر لحظات حياته ، فقد جاء في رواية لابن إسحاق أنه قال لعبد الله بن مسعود لما أراد أن يحتزَّ رأسه « لقد ارتقيت مرتقًى صعبا يارويعى الغنم »[1] .

---

(1) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٣ .

وهكذا تستمر الغطرسة والكبرياء في أصحاب النفوس المريضة ، حيث ينسون أو يتناسون كل صفات الكمال والرجولة في الرجال ، ولايتذكرون إلا شيئًا من صفاتهم أو مهنهم البسيطة ، وهذا أثر من آثار خُلق الكبر السيئة ، وبهذه الرؤية الناقصة القاتمة يصدر حكم هؤلاء المستكبرين على الناس ، فربما حكموا على العظماء المفكرين بأحكام يزدريها العقلاء ، لأن أولئك المتكبرين لاينظرون إلى الناس إلا من خلال ذلك المنظار الضيق الدنيء .

* * *

٣٤ - شجاعة عكاشة بن محصن ومعجزة النبي ﷺ -

قال ابن إسحاق : وقاتل عُكاشةُ بن محصن بن حُرثان الأسدي ، حليف بني عبد شمس بن عبد مناف ، يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده ، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلاً من حطب ، فقال : قاتل بهذا ياعُكاشة ، فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزّه ، فعادَ سيفًا في يده طويل القامة ، شديد المتن ، أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمى العَوْن ، ثم لم يزل عنده يَشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قُتل في الرّدة ، وهو عنده ، قَتله طليحة ابن خُويلد الأسدي [1] .

في هذا الخبر إشارة إلى شجاعة عكاشة بن محصن رضي الله عنه وشدة بلائه في القتال ، حيث انقطع السيف في يده من كثرة الجلاد .

وفي الخبر معجزة بالغة للنبي ﷺ حيث ناول عكاشة أصلاً من أصول الشجر فعاد في يده سيفا في غاية الجودة والمتانة ، ومن بركة هذا السيف أنه استمر في يد عكاشة يقاتل به أعداء الله حتى استشهد رضي الله عنه في حروب الردة .

* * *

(١) سيرة بن هشام ٢/ ٣٢٤ .

٣٥ - موقف جهادي للزبير بن العوام -

أخرج الإمام البخاري من حديث هشام بن عروة عن أبيه قال : «قال الزبير : لقيتُ يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مُدجج لا يرى منه إلا عيناه وهو يكنى أبا ذات الكرش فقال : أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه بالعنزة فطعنته في عينه فمات . قال هشام : فأخبرت أن الزبير قال : لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتُها وقد انثنى طرَفاها . قال عروة : فسألهُ إياها رسول الله ﷺ فأعطاه ، فلما قُبض رسول الله ﷺ أخذها ، ثم طلبها أبو بكر فاعطاهُ ، فلما قُبض أبو بكر سألها إياه عمر فأعطاه أيايها ، فلما قُبض عمر أخذها ، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها ، فلما قُتل عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير ، فكانت عنده حتى قُتل »[1] .

هذا الخبر يصور لنا دقة الزبير بن العوام رضي الله عنه في إصابة الهدف ، حيث استطاع أن يضع الحربة في عين ذلك الرجل مع ضيق ذلك المكان وكونه قد وزع طاقته بين الهجوم والدفاع ، فلقد كانت إصابة ذلك الرجل بعيدة جداً لكونه قد حمى جسمه بالحديد الواقي ، لكن الزبير استطاع إصابة إحدى عينيه فكانت بها نهايته ، ولقد كانت الإصابة شديدة العمق مما يدل على قوة الزبير الجسدية ، إضافة إلى دقته ومهارته في إصابة الهدف .

* * *

(١) صحيح البخاري ، المغازي ، رقم ٣٩٩٨ (٧/ ٣١٤) .

٣٦ – مثلان من شجاعة أبي دجانة –

قال الواقدي فيما يرويه عن شيوخه ، : ولما جال المسلمون واختلطوا ، أقبل عاصم بن أبي عوف بن صُبيرة السهمي كأنه ذئب يقول: يامعشر قُريش ، عليكم بالقاطع ، مفرق الجماعة ، الآتي بما لايُعرف ، محمد ! لانجوتُ إن نجا ! ويعترضه أبو دُجانة ، فاختلفا ضربتين وضربه أبو دجانة فقتله . ووقف على سلبه يسلبه ، فمرّ عمر بن الخطاب وهو على تلك الحال ، فقال دع سلَبه حتى يُجهَض العدوّ ، وأنا أشهد لك به . ويُقبل معْبد بن وهْب ، فضرب أبا دُجانة ضربة ، برك أبو دجانة كما يبرُك الجمل ، ثم انتهض ، وأقبل عليه أبو دجانة فضربه ضربات لم يصنع سيفه شيئًا ، حتى يقع مَعْبد بحُفرة أمامه لايراها ، وبرك عليه أبو دُجانة ، فذبحه ذبحًا ، وأخذ سَلَبه [١] .

فهذا الكافر العاتي عاصم بن أبي عوف الذي خرج يتحدى المسلمين ، ويهدد رسول الله ﷺ بالقتل متجاهلاً من حوله من المسلمين الذين يفدونه بأرواحهم كان له بالمرصاد أبو دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه فلم يثبت أمامه إلا قليلاً حتى قضى عليه وأسكت عواءه .

وينتهز أحد الكفار فرصة إنشغال أبي دجانة فيضربه ضربة أوقعته على الأرض ، لكنه سرعان مانهض نهوض الأسد فقضى على عدوه .

* * *

(١) مغازي الواقدي ١/ ٨٦ .

٣٧ - موقف شجاعة لعلي بن أبي طالب -

قال الواقدي - فحدّثني مَعْمَر ، عن الزُّهري ، قال : قال رسول الله ﷺ : اللهمَّ ، اكفني نَوْفَل بن خُوَيلد ! وأقبل نوفل يومئذ وهو مرعوب ، قد رأى قتْل أصحابه ، وكان في أول ما التقوا هم والمسلمون ، يصيح بصوت له زَجَل ، رافعًا صوته : يامعشر قُرَيش ، إن هذا اليوم يومُ العلاء والرِّفعة ! فلما رأى قُرَيشًا قد انكسرت جعل يصيح بالأنصار : ماحاجتكم إلى دمائنا ؟ أما ترون ما تقتلون ؟ أما لكم في اللَّبَن من حاجة ؟ فأسره جَبّار بن صَخر فهو يسوقه أمامه . فجعل نوفل يقول لجبار - ورأى عَليًا مُقبلاً نحوه - قال : يا أخا الأنصار ، من هذا ؟ واللات والعُزى ، إني لأرى رجلاً ، إنه ليُريدني ! قال : هذا عليّ بن أبي طالب . قال : ما رأيت كاليوم رجلاً أسرع في قومه منه . فيصمد له عليٌّ عليه السلام فيضربه ، فنشب سيف علي في حَجَفته ساعة ، ثم نزعه فيضرب ساقيه ، ودرعه مُشَمَّرة ، فقطعهما ، ثم أجهز عليه فقتله . فقال رسول الله : من له علمٌ بنوفل بن خويلد ؟ فقال علي : أنا قتلته . قال : فكبر رسول الله ﷺ وقال : الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه ! (١) .

وهكذا أقر علي بن أبي طالب عين رسول الله ﷺ بالقضاء على أحد عتاة الكفار الذي كان يصعّد في أذى المسلمين ويصوِّب يوم أن كانوا مستضعفين في مكة ، وكان الذي أسره من الأنصار لم يعلم بدعاء النبي ﷺ ولا بما كان منه من أذى المسلمين .

(١) مغازي الواقدي ١/ ٩١ - ٩٢ .

٣٨ - نماذج عالية من الولاء والبراء -

١ - أخرج أبو عبد الله الحاكم من طريق محمد بن عمر الواقدي قال : وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق لم يزل على دين قومه في الشرك حتى شهد بدراً مع المشركين ، ودعا إلى البراز فقام إليه أبوه أبو بكر رضي الله عنه ليبارزه . . فذكر أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر : متِّعنا بنفسك ، ثم إن عبد الرحمن أسلم في هدنة الحديبية [١] .

٢ - وأخرج أبو عبد الله الحاكم بإسناده عن عبيد الله بن شوذب قال : جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح ينصب الألّ [٢] لأبي عبيدة يوم بدر ، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه ، فلما أكثر الجَرَّاح قصده أبو عبيده فقتله ، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية حين قتل أباه ﴿ **لاتجد قومنا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيَّدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾ - المجادلة / ٢٢ [٣] .

٣ - أخرج الواقدي من حديث الإمام الزهري ، قال : وأقبل

---

(١) المستدرك ٣/ ٤٧٤ .

(٢) الألُّ - بفتح الهمزة وتشديد اللام الحربة العريضة النصل .

(٣) المستدرك ٣/ ٢٦٥ .

العاص بن سعيد يحثُّ للقتال ، فالتقى هو وعليٌّ ، فقتله عليٌّ فكان عمر ابن الخطاب يقول لابنه سَعيد بن العاص [(١)] : إني لأراك مُعرضًا ، تظن أني قتلت أباك ؟ [في أصل ابن أبي حَيَّـة ، والله ما قتلت أباك] ولا أعتذر من قتل مُشرك ، ولقد قتلت خالي بيدي ، العاص بن هشام بن المغيرة . فقال سعيد : لو قتلته لكان على الباطل وأنت على الحق . قال : قُريش أعظم الناس أحلامًا ، وأعظمها أمانةً ، لايبغيهم أحدٌ الغوائل إلا كبه الله لفيه [(٢)] .

٤ - قال ابن إسحاق : وحدثني نُبيه بنُ وهْب ، أخو بني عبد الدار أنّ رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه ، وقال . استوصُوا بالأسارى خيراً ، قال . وكان أبو عزيز بن عُمير بن هاشم ، أخو مصعب بن عُمير لأبيه وأمه في الأسارى .

قال . فقال أبو عزيز . مَر بي أخي مُصعْب بن عُمير ورجل من

---

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، له صحبة ، وكان عمره يوم أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين ، كان من فصحاء قريش ، ولذلك ندبه عثمان رضي الله عنه فيمن ندب لكتابة القرآن ، أما جده سعيد بن العاص فهو من أشراف قريش ولقبه المشهور « أحَيْحَة » ، وقد توفي مشركا قبل بدر ، وأما أبوه العاص فهو الذي قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم بدر - الإصابة ٢/ ٤٥ رقم ٣٢٦٨ - .

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٩٢ .

وذكره الحافظ ابن حجر وفيه أنه قال لعمر : ولو قتلته لكنت على الحق وكان على الباطل ، فأعجبه قوله - الإصابه ٢/ ٤٥ رقم ٣٢٦٨ - .

الأنصار يَأسرني ، فقال : شُدّ يديك به فإن أُمّه ذاتُ متاع ، لعلها تَفْديه منك ! قال : وكنتُ في رهَط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصُّوني بالخُبز ، وأكلوا التمر ، لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ما تَقَع في يد رجل منهم كسرة خُبز إلا نَفَحني بها ، قال : فأستَحْي فأردّها على أحدهم فيردّها عليَّ ما يمسُّها .

قال ابن هشام : وكان أبو عزيز صاحبَ لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث ، فلما قال أخوه مُصعب بن عمير لأبي اليَسَر ، وهو الذي أسره ما قال ، قال له أبو عزيز : يا أخي ، هذه وصاتُك بي . فقال مصعب : إنه أخي دونك ، فسألت أمُّه عن أغلى ما فُدي به قُرشيٌّ ، فقيل أربعةُ آلاف درهم فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها [1] .

في هذه الأخبار أمثلة رائعة من قوة إيمان الصحابة رضي الله عنهم ، ووضوح معالم التوحيد عندهم .

فقد كان أبو بكر رضي الله عنه على إستعداد لمبارزة ابنه عبد الرحمن ، وقد عزم على ذلك لولا أن منعه رسول الله ﷺ..

وأقدم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه على قتل أبيه .

كما أقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة .

وأقدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه على قتل ابن عمه العاص

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٦ - ٣٣٧ .

ابن سعيد بن العاص ، وهو يلتقي مع علي بجدّهما عبد مناف بن قصي .

وأخيراً كان من مصعب بن عمير رضي الله عنه ذلك الموقف الجليل حينما أظهر البراءة من أخيه في النسب أبي عزيز ، وأثبت الولاء لأخيه في الدين ذلك الرجل الأنصاري .

وهذه الأعمال الجليلة تعتبر أمثلة حية لتطبيق مبدإ الولاء للمؤمنين وإن كانوا أباعد لاتربطهم أي رابطة من النسب أو الوطن أو غير ذلك ، والبراء من الكافرين وإن كانوا من الأقارب الأدنين .

ومبدأ الولاء والبراء يعتبر من أصول التوحيد ، وهو من التكاليف التي لايطبقها عن طريق نفس إلا أقوياء الإيمان .

*　*　*

٣٩ - عدد المقاتلين ونهاية المعركة -

أخرج الإمام البخاري بإسناده من عدة طرق عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال : حدثني أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدراً أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة ، قال البراء : لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن (١) .

وجاء تحديد عددهم في رواية الإمام أحمد بثلاثة عشر وثلاثمائة(٢) ، وقال الحافظ ابن حجر وهذا هو المشهور عند ابن إسحاق وجماعة من أهل المغازي (٣) .

وجاء في رواية للإمام مسلم أن عددهم تسعة عشر وثلاثمائة (٤) .

وحمل ذلك الحافظ ابن حجر على احتمال أن يكون ضُمَّ إليهم في العدد من استُصْغر ولم يؤذن له في القتال كالبراء وابن عمر وأنس واستشهد على ذلك بما ذكره عن الإمام أحمد بسند صحيح عن أنس أنه سئل : هل شهدت بدراً ؟ فقال : وأين أغيب عن بدر ؟ قال : وكأنه كان حينئذ في خدمة النبي ﷺ (٥) .

أما عدد المشركين فقد سبق في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف » (٦) .

(١) صحيح البخاري ، المغازي رقم ٣٩٥٧ - ٣٩٥٩ (٧/ ٢٩٠) .

(٢) الفتح الرباني ٢١ / ٤٢ .

(٣) فتح الباري ٧/ ٢٩١ .

(٤) صحيح مسلم ، الجهاد رقم ١٧٦٣ (ص ١٣٨٤) .

(٥) فتح الباري ٧/ ٢٩٢ .

(٦) صحيح مسلم ، الجهاد رقم ١٧٦٣ (ص ١٣٨٤) .

وهذا وإن أهمية معركة بدر وتميزها ليس في كون المؤمنين قابلوا جيشًا يبلغ ثلاثة أضعافهم ، فإنهم قد قابلوا بعد ذلك أضعافهم بأكثر من ذلك ، ولكن هذا التميز يبرز لكون معركة بدر هي المعركة الأولى التي واجه فيها المسلمون أعداءهم بهذا العدد القليل .

وهنا يبرز سؤال مهم ، وهو لماذا لم يطلب النبي ﷺ من المدينة مددا ، حيث إنه لم يخرج لقتال ، فلم يخرج معه العدد الكافي لمواجهة جيش الكفار ، والكفار لم يقصدوا المدينة ، وإنما قصدوا بدرًا ليفاخروا العرب باستعدادهم الحربي الكبير ، فكان بإمكان النبي ﷺ أن ينتظر في مكان بعيد عن متناول الكفار حتى يأتيه المدد من المدينة ، فما الحكمة من عزمه ﷺ على القتال بذلك الجيش المحدود ؟ .

لاشك أن في ذلك حكما عظيمة ، لعل منها أن تحصل العبرة العظيمة للمسلمين وجميع أعدائهم من إقدام بعض المسلمين على جيش كبير قد أخذ أفراده كامل استعدادهم للحرب ، ثم انتصار المسلمين ذلك الانتصار المؤزر الذي لفت الأنظار ، وأوقع الرعب في قلوب الكفار ، كما رفع من معنوية المسلمين وجرأهم على قتال أعدائهم وإن كانوا أضعافهم .

ولعل من الحكم في ذلك أن يفهم الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم أن العبرة في القتال ليست بالكثرة وإنما بتحقيق عوامل النصر التي أهمها التوكل على الله تعالى واستمداد النصر منه والاستقامة على الدين .

أما نهاية المعركة فقد كانت لصالح المسلمين حيث نصر الله تعالى رسوله ﷺ وأولياءه المؤمنين نصراً مؤزراً .

ولم يستشهد من المسلمين إلا أربعة عشر ، ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار ولم يؤسر من المسلمين أحد ، وقد ذكر ابن إسحاق أسماء الشهداء [1] .

أما المشركون فقد قتل منهم سبعون وأسر سبعون ، وقد ذكر ابن إسحاق وابن هشام أسماء أكثرهم [2] .

* * *

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٢٧ - ٤٢٩ .

(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٢٩ - ٤٤٥ .

٤٠ – سحب صناديد قريش إلى القليب ومافي ذلك من عبر –

أخرج الإمام أبو عبد الله البخاري من حديث قتادة قال « ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقُذفوا في طَويٍّ من أطواء بدر [١] خبيث مُخْبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشُد عليها رحُلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلقُ إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الرّكي [٢]، فجعل يُناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، يافلان ابن فلان، ويافلان ابن فلان، أيسرّكم أنكم أطعتمُ الله ورسوله ؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا.

قال فقال عمر : يارسول الله، ما تُكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ : والذي نفس مُحمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم.

قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله، توبيخًا وتصغيراً ونقْمة وحَسرة ونَدَما [٣].

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها وذكر نحوه باختصار، وجاء في آخر ه : فلما أمر بهم فسحبوا عُرف في وجه أبي حذيفة بن عتبة الكراهية وأبوه يسحب إلى القليب، فقال له

---

(١) أي في بئر من آبارها.

(٢) أي على طرف البئر.

(٣) صحيح البخاري، المغازي رقم ٣٩٧٦ (٧/ ٣٠١).

رسول الله ﷺ يا أبا حذيفة والله لكأنه ساءك ما كان في أبيك ، فقال : والله يارسول الله ما شككت في الله وفي رسول الله ولكن إن كان حليما سديداً ذا رأي فكنت أرجو أن لايموت حتى يهديه الله عز وجل إلى الإسلام ، فلما رأيت أن قد فات ذلك ووقع حيث وقع أحزنني ذلك ، قال : فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله بخير .

قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي (١) .

في هذا الخبر عبرة للمعتبرين ، حيث سقط هؤلاء السادة الزعماء صرعى يوم بدر ، وواجهوا ذلك المصير السيء في الدنيا ، التي طالما حلموا فيها بالشرف الرفيع ، مع ما ينتظرهم في الآخرة من العذاب الأليم الخالد .

لقد كانت سعادة الدنيا والآخرة بأيديهم لو فكروا في دعوة النبي ﷺ بعقول متجردة من الهوى ، ولكن الهوى الجامح المهيمن على أفكارهم قد قادهم إلى الهلاك في الدنيا والآخرة ، فخسروا الدنيا التي سخَّروا عقولهم وأجسامهم لعمارتها ، وخسروا الآخرة التي لم يكونوا يحسبون لها حسابا .

وموقف إسلامي لأبي حذيفة بن عتبة رضي الله عنه الذي تغير وجهه كراهية لما رأى أباه يُسحب إلى القليب ، حزنا على موته كافرا وحرمانه من الهداية مع ما كان يتمتع به من عقل راجح ورأي سديد ، ولم يكن حزنه لمجرد أنه فقد أباه ، ولهذا المقصد النبيل الذي أثار حزن أبي حذيفة دعا له رسول الله ﷺ بخير .

---

(١) المستدرك ٣/ ٢٢٤ .

٤١ – مثل أعلى في الرقي الأخلاقي –
(إكرام الأسرى)

أخرج الإمام الطبراني من حديث أبي عزيز بن عمير أخي مصعب بن عمير قال : كنت في الأسرى يوم بدر فقال رسول الله ﷺ : استوصوا بالأساري خيرا ، وكنت في نفر من الأنصار فكانوا إذا قدَّموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر وأطعموني البُرّ لوصية رسول الله ﷺ .

ذكره الحافظ الهيثمي وقال : رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن [١] .

وأخرج الواقدي من حديث الزُّهري . قال : قال رسول الله ﷺ : استوصوا بالأسرى خيراً . فقال أبو العاص بن الربيع : كنت في رهط من الأنصار جزاهم الله خيراً ، كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثروني بالخبز وأكلوا التمر ، والخبز معهم قليل والتمر زادُهم . حتى إنَّ الرجل لتقع في يده الكسرة فيدفعها إليّ . وكان الوليد بن الوليد بن المُغيرة يقول مثل ذلك ويزيد : وكانوا يحملوننا ويمشون [٢] .

في هذين الخبرين مثل رفيع في المعاملة الكريمة من رسول الله ﷺ حتى مع الأعداء ، وشاهدٌ على سمو الإسلام في المجال الأخلاقي ، حيث ظفر أعداء الإسلام من معاملة المسلمين بأعلى درجات مكارم الأخلاق ، التي تتمثل في خلق الإيثار ، فالصحابة رضي الله عنهم

(١) مجمع الزوائد ٦/ ٨٦ .

(٢) مغازي الواقدي ١/ ١١٩ .

يأكلون الطعام الذي يعتبر في نظرهم من الدرجة الثانية لكثرته ، ويؤثرون الأسارى بالطعام الذي يعتبر من الدرجة الأولى لندرته ، ولو أنهم اقتصروا على مساواة الأسارى بأنفسهم لكانوا قد بلغوا الكمال في العدالة ، ووصلوا إلى مستويات عليا في تمثيل مكارم الأخلاق ، ولم تتوجه إليهم أي ملامة من أهل العقل الحصيف والرأي السديد ، فكيف بهم وقد جاوزوا مرحلة المساواة إلى مرحلة الإيثار على النفس ؟ ! لاشك أنهم بذلك يكونون قد بلغوا القمة العليا في الرقي الأخلاقي .

إن هذا الخبر يعطينا صورة رائعة للمقدرة الفائقة عند المسلمين الصادقين على الجمع بين القوة الخارقة في الحرب ، والتمثيل العالي لمكارم الأخلاق حتى مع من كانوا قبل أيام قلائل يقابلون المسلمين في الميدان ، مع تصور أن الأعداء لو ظفروا بهم لمزقوهم شر ممزَّق .

إن شعور المسلم القوي بعدواة الأعداء وتطبيقه الحي لمبدإ البراء من الكفار يجعل من العجيب المدهش أن يصل هذا المسلم في معاملته للأعداء الذين هم تحت ملكه وتصرفه إلى حد الإيثار على النفس بمنافع الحياة الدنيا .

وإن الذي يواجه مقاتلين يستميتون في القتال دفاعا عن قضيتهم ، لاينتظر من هؤلاء المقاتلين الذين خطفوا بصره في الميدان وشلُّوا بصيرته إلا الموت البطيء على أيديهم ، فكيف به وهو يواجه رجالا يؤثرونه على أنفسهم ؟ ! .

إنه لمن المستغرب المحيِّر للعقلاء العاديين أن يُقدم أناس على قتل أقاربهم الأدنين في الميدان ، ثم يؤثروا الأباعد عنهم بمنافع الدنيا وهم يملكون قتلهم ومادون ذلك من الإيذاء .

فما الذي حملهم على هذا الأمر الذي ظاهره التناقض ؟ ! إنه طاعة الله تعالى وابتغاء رضوانه في الحالين معا ، فهو الذي أمرهم ببذل الجهد في القتال في سبيله ، وأن لاتأخذهم به لومة لائم ، وهو الذي أمرهم بأن يصلوا إلى القمة في الرقي الأخلاقي حتى مع أعدائهم .

* * *

٤٢ – موقفا رحمة وحزم من رسول الله ﷺ –
(خبر أبي عزة الجمحي)

أخرج الواقدي من حديث الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، قال : أمَّن رسول الله ﷺ من الأسرى يوم بدر أبا عزة عمرو بن عبد الله بن عمير الجمحي ، وكان شاعراً ، فأعتقه رسول الله ﷺ ، وقال : لي خمس بنات ليس لهنَّ شيءٌ ، فتصدق بي عليهن يامحمد ، ففعل رسول الله ﷺ ، وقال أبو عزَّة : أعطيك موثقًا لا أقاتلك ولا أكثر عليك أبدًا . فأرسله رسول الله ﷺ .

فلما خرجت قريش إلى أحُد جاءَه صفوان بن أمية فقال : اخرج معنا ! فقال : إني قد أعطيت محمداً موثقًا ألا أقاتله ولا أكثر عليه أبدًا ، وقد منّ عليّ ولم يمنّ على غيري حتى قتله أو أخذ منه الفداء . فضمن صفوان أن يجعل بناته مع بناته إن قُتل ، وإن عاش أعطاه مالاً كثيراً لا يأكله عياله . فخرج أبو عزة يدعو العرب ويحشرها ، ثم خرج مع قريش يوم أحدُ فأسر ولم يُوسَر غيره من قريش ، فقال : يامحمدّ ، إنما خرجْت مُكرهًا ، ولي بنات فامْنُن عليّ ! فقال رسول الله ﷺ : أين ما أعطيتَني من العهد والميثاق ؟ لا والله ، لاتَمْسَح عارضَيك بمكَّة تقول «سخرتُ بمحمدّ مرّتين » ! .

وأخرج من حديث الزُّهري ، عن سعيد بن المُسيِّب ، قال : قال النبي ﷺ : إنَّ المؤمن لايُلْدغ من جُحْر مرّتين ، ياعاصم بن ثابت ، قدِّمْه فاضرب عنقه ! فقدّمه عاصم فضرب عنقه [1] .

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ١١٠ – ١١١ .

في هذا الخبر بيان أن النبي ﷺ وقف موقف رحمة من أبي عزة الجمحي لما ذكر فقره ومالديه من البنات التي يعولهن فأطلقه ﷺ بغير فداء وذلك يوم بدر ولكنه لم يف لرسول الله ﷺ بما عاهده عليه من لزوم السلم وعدم إثارة الحرب ضده فوقع أسيراً في معركة أحد ، ومع ما سلف منه من خيانة العهد فإنه حاول أن يستدر عطف النبي ﷺ لعله يمن عليه ولكنه ﷺ كان حازمًا لايغدر به الخادعون فأمر عاصم بن ثابت بضرب عنقه .

ولقد قرر النبي ﷺ بهذا للقادة من بعده لزوم المحافظة على عزة الإسلام ودولته ، والحذر من الوقوع في خداع الخداعين ، لأن الأمر ليس قضايا فردية وإنما هو قضية الأمة فإذا وقع القائد في خداع الأعداء تضرر من ذلك جيشه وأمته .

* * *

٤٣ – موقف رحمة وعدالة من رسول الله ﷺ –

قال الواقدي في بيان أحداث غزوة بدر :

ولما أُسر سُهيل بن عمرو ، قال عمر رضي الله عنه : يارسول الله ، انزعْ ثنيتيه ! يُدلَع لسانُه فلا يقوم عليك خطيبًا أبدًا ! فقال رسول الله ﷺ : لا أُمثِّل به فيُمثِّل الله بي وإن كنت نبيًا ، ولعله يقوم مقامًا لاتكرهه . فقام سُهيل بن عمرو حين جاءَه وفاة النبي ﷺ بخُطبة أبي بكر رضي الله عنه بمكة – كأنه كان يسمعها . قال عمر حين بلغه كلام سُهيل : أشهدُ إنَّك لرسولُ الله ! يُريد حيث قال النبي ﷺ « لعله يقوم مقامًا لاتكرهه »[1] .

وهكذا أبَى رسول الله ﷺ أن ينزع ثنيتي سهيل بن عمرو ، مع أن مقصد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن مجرد التمثيل به وإنما كان مقصدا دعويا ، وذلك من أجل أن لايقوم خطيبا ضد دعوة الإسلام وقد كان سهيل خطيبا مصقعًا له تأثير على قومه ، وهذا موقف رحمة وعدالة من رسول الله ﷺ .

وفي قوله ﷺ « لعله يقوم مقامًا لاتكرهه » معجزة نبوية ظاهرة ، حيث تحقق ما رجاه ﷺ وذلك أنه أسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه ، فلما توفي رسول الله ﷺ كاد بعض أهل مكة أن يرتدوا عن الإسلام وأظهروا التمرد على دولة الإسلام فقام فيهم خطيبًا فثبَّت المترددين وهدد

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ١٠٧ .

وفي رواية : لعله يقوم مقاما تحمده عليه .

المتمردين ، ومما روي من قوله في ذلك « يامعشر قريش لاتكونوا آخر الناس إسلاما وأولهم ردة ، من رَابَنَا ضربنا عنقه » .

ولما بلغ عمر موقفه هذا تذكر مقالة النبي ﷺ عنه بعد بدر فقال : «أشهد إنك لرسول الله » يعني حيث أخبر عن أمر مغيب فوقع كما أخبر به .

* * *

٤٤ – مثل من تسامح النبي ﷺ واهتمامه بالدعوة – (فداء أبي العاص بن الربيع)

قال ابن إسحاق : وحدّثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عـن أبيه عـبـاد ، عن عـائشـة ، قـالـت : لما بعث أهل مكة في فـداء أسرائهم، بعثت زينبُ بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها[١] ، قالت : فلما رآها رسول الله ﷺ رقّ لها رقة شديدة ، وقال : إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها مالها ، فافعلوا ، فقالوا : نعم ، يارسول الله فأطلقوه ، وردّوا عليها الذي كان لها [٢] .

في هذا الخبر نجد أن النبي ﷺ منّ على صهره أبي العاص بن الربيع فأطلقه بغير فداء ، وردّ القلادة التي بعثت بها زوجته زينب بنت النبي ﷺ لفدائه وهذا الموقف إلى جانب ما يظهر منه من مظاهر الرحمه والعطف منه ﷺ على ابنته ، فهو يحمل في طياته مقصداً آخر أهمّ ، وهو أنه كان

---

(١) ذكره ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم زوّج أبا العاص بن الربيع قبل الإسلام ، وأن زينب بقيت في ذمته وهو مشرك لأنه صلى الله عليه وسلم لايستطيع وهو بمكة أن ينفذ الأحكام الشرعية التي تتعلق بالكفار ، ثم خرج أبو العاص يوم بدر وأسر مع من أسر .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٤٧ – ٣٤٨ .

وأخرجه الإمام أحمد من طريق بن إسحاق بهذا الإسناد وذكر مثله – الفتح الرباني ١٤/ ١٠٠ – ١٠١ .

يتألفه للإسلام بذلك لما عرف عنه من العقل السديد والرأي الرشيد ، فقد كان النبي ﷺ يثني عليه وهو على شركه بحسن المعاملة .

وبمقابل هذا العطف نجد أن النبي ﷺ قد تشدد مع عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه كما أخرج الإمام البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : « أن رجالا من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه ، قال : والله لاتذرون منه درهما [1] » وكما أخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان الذي أسر العباس بن عبد المطلب أبو اليسر بن عمرو وهو كعب بن عمرو أحد بني سلمة فقال له رسول الله ﷺ : كيف أسرته يا أبا اليسر ؟ قال : لقد أعانني عليه رجل ما رأيته بعد ولاقبل هيئته كذا هيئته كذا قال فقال رسول الله ﷺ : لقد أعانك عليه ملك كريم وقال للعباس : ياعباس افد نفسك وابن أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن جحدم أحد بني الحارث بن فهر قال : فإني كنت مسلمًا قبل ذلك وإنما استكرهوني قال : الله أعلم بشأنك إن يك ما تدَّعي حقًا فالله يجزيك بذلك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا فافد نفسك ، وقد كان رسول الله ﷺ قد أخذ معه عشرين أوقية ذهب فقال : يارسول الله احسبها لي من فدائي قال : لا ذلك شيء أعطانا الله منك قال : فإنه ليس لي مال قال : فأين المال الذي وضعته بمكة حين خرجت

---

(١) صحيح البخاري ، المغازي رقم ٤٠١٨ (٧/ ٣٢١) .

عند أم الفضل وليس معكما غيركما أحد فقلت إن أُصبت في سفري هذا فللفضل كذا ولُقَثَم كذا ولعبد الله كذا قال : فو الذي بعثك بالحق ما علم به أحد من الناس غيري وغيرها وإني أعلم أنك رسول الله . ذكره الحافظ الهيثمي وقال : فيه راو لم يسمَّ وبقية رجاله ثقات (١) .

وهذا يعني أن النبي ﷺ لم يراع أبا العاص بن الربيع لمجرد كونه صهره ، وإنما كان ذلك لغرض ديني وهو محاولة اجتذابه إلى الإسلام .

وقد عامله النبي ﷺ بمثل ذلك من التسامح كما سيأتي ، مما كان سببًا في دخوله في الإسلام رضي الله عنه .

* * *

(١) مجمع الزوائد ٦/ ٨٥ - ٨٦ .

٤٥ - النصر على الأعداء من نعم الله تعالى -

قال محمد بن إسحاق : ثم ارتحل رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان بالرَّوْحاء لقيه المسلمون يُهنئونه بما فتح الله عليه ، ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سَلمة بن سلامة - كما حدثني عاصم [١] بن عُمر ابن قتادة ، ويزيد بن رومَان - : ما الذي تُهنئوننا به ؟ فو الله إن لقينا إلا عجائز صُلْعا كالبُدْن المعقَّلة ، فنحرناها ، فتبسّم رسولُ الله ﷺ ، ثم قال : أي ابن أخي ، أولئك الملأ [٢] .

وأخرجه الواقدي ، وقد جاء فيه بعد قوله « أولئك الملأ » : « لو رأيتهم لهبتهم ، ولو زمروك لأطعتهم ، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرته ، وبئس القوم كانوا على ذلك لنبيهم » فقال سلمة : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله . . ثم ذكر خبراً آخر إلى أن قال في حكاية قول النبي ﷺ : « وأما ما قلت في القوم فإنك عمدت إلى نعمة من نعم الله تزهدها » فاعتذر إلى النبي ﷺ ، فقبل منه رسول الله معذرته فكان من علْيَة أصحابه [٣] .

في هذا الخبر بيان من رسول الله ﷺ بأن التهوين من شأن الأعداء بعد الانتصار عليهم يعتبر من الغفلة عن تذكر نعمة الله تعالى ، وذلك

(١) سقط اسم عاصم من النسخة المطبوعة التي اعتمدت عليها وقد اثبته من الروض الأنف ٥/ ١٥٢ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٤ ، وقال ابن هشام : الملأ الأشراف والرؤساء .

(٣) مغازي الواقدي ١/ ١١٦ .

لأن نصر الله تعالى أولياءه المؤمنين من أعظم النعم عليهم ، فإنه أعظم بكثير من قوتهم وتدبيرهم .

كما أن الاهتمام ببيان قوة أفراد الجيش والتهوين من شأن الأعداء يبعث على الغرور الذي قد يكون سببا في الانتكاسة في موطن آخر .

فلذلك وغيره كانت كراهية النبي ﷺ لذلك الكلام الذي صدر من سلمة بن سلامة بن وقش رضي الله عنه .

لقد أخبر النبي ﷺ عن زعماء قريش بأنهم علْيةُ القوم ، و أن من رآهم هابهم ومن أمروه أطاعهم لما يتمتعون به من قوة الشخصية وإحكام التصرف في الأمور الدنيوية ، واجتذاب الناس إليهم ببعض الفعال الحميدة .

وإن في إخبار النبي ﷺ عنهم بذلك وصفا لحجم المعاناة التي كان يواجهها هو وأصحابه في مقاومة هؤلاء الزعماء حينما كانوا تحت سيطرتهم في مكة ، فإن مقاومة العدو الذي ينْفر الناس منه بتخبطه واضطرابه ، ووقوع الشقاق بين زعمائه ، وهبوط هؤلاء الزعماء إلى التخلق بالأثرة والاهتمام بالمنافع الشخصية ، ليست كمقاومة العدو الذي أحكمَ سادتُه أمره فيما يتعلق بالأعراف الاجتماعية والتقاليد المرعية ، حتى فرضوا على الآخرين هيبتهم ، واستقام الأتباع على طاعتهم .

٤٦ - فرحة المؤمنين وغيظ اليهود والمنافقين -

قال محمد بن عمر الواقدي رحمه الله تعالى :

وقدَّم رسول الله ﷺ زَيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الأُثيل ، فجاءوا يوم الأحد شَدَّ الضُّحى ، وفارق عبد الله زيداً بالعقيق ، فجعل عبد الله يُنادي على راحلته : يامعشر الأنصار ، أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ وقَتْل المشركين وأسْرهم ! قُتل ابنا رَبيعة ، وابنا الحجاج ، وأبو جَهل ، وقُتل زَمعة بن الأسود ، وأمية بن خلف ، وأسر سُهيل بن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثيرة . قال عاصم بن عَدي : فقمت إليه فنحَّوته فقلت : أحقًا ما تقول ياابن رواحة ؟ قال : إي والله ، وغداً يقدم رسول الله ﷺ إن شاءَ الله ومعه الأسرى مُقرَّنين . ثم اتَّبع دور الأنصار بالعالية - العالية بنو عمرو بن عوف وخطمة ووائل ، منازلهم بها - فبشرهم داراً داراً ، والصبيان يشتدون معه ويقولون : قُتل أبو جهل الفاسق ! حتى انتهوا إلى بني أمية ابن زيد .

وقد زيد بن حارثة على ناقة النبي ﷺ القصواءُ يبشر أهل المدينة ، فلما جاء المُصلى صاح على راحلته ، قُتل عُتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وأبو جهل ، وأبو البختري ، وزمعة بن الأسود ، وأمية بن خلف ، وأسر سهيل بن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثيرة . فجعل الناس لايُصدقون زيد بن حارثة ، ويقولون : ماجاء زيد إلا فلاً ! (١)

---

(١) أي منهزمين .

حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا . وقدم زَيد حين سَوَّوا على رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ الترابَ بالبَقيع .

فقال رجلٌ من المنافقين لأُسامة بن زيد : قُتل صاحبكم ومعه معه . وقال رجل من المنافقين لأبي لبابة بن عبد المنذر : قد تفرق أصحابكم تفرقا لايجتمعون منه أبدًا . وقد قُتل علية أصحابه وقُتل محمد ، هذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد لايدري ما يقول من الرعب ، وجاءَ فلاًّ . قال أبو لبابة : يُكذب الله قولك ! وقالت يهود : ماجاء زيد إلاّ فلاًّ ! .

قال أسامة بن زيد : فجئتُ حتى خلوتُ بأبي ، فقلت : ياأبَهْ ، أحقٌّ ماتقول ؟ قال : إي والله حقًا يابُني ! فقويتُ في نفسي ، فرجعتُ إلى ذلك المنافق فقلت : أنت المُرجف برسول الله وبالمسلمين ، ليُقدّمنك رسولُ الله إذا قدم فليضربن عنقَك ! فقال : يا أبا محمد ، إنما هو شيء سمعتُ الناس يقولونه (١) .

وهكذا صور لنا هذا الخبر مقدار فرحة المؤمنين بنصر رسول الله ﷺ وأصحابه في بدر ، وما تم في ذلك من قتل زعماء الكفار وأسر بعضهم، الذين كانوا يملؤون الأرض سمعة وجبروتا .

وقد شارك في هذه الفرحة صبيان المدينة ، الذين رفعوا أصواتهم بإعلان فرحتهم بقتل أبي جهل الفاسق .

وفي مقابل ذلك أصابت المنافقين واليهود كآبة شديدة وغيظ خانق،

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ١١٤ - ١١٥ .

مما دفعهم إلى تكذيب ذلك الخبر ، وإشاعة انهزام المسلمين ، وأن المبشِّرَيْن إنما هما من أوائل المنهزمين .

وهذا هو شعور أعداء الله تعالى دائمًا نحو أي نعمة تساق للمسلمين ، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿ **إنْ تمسسكم حسنة تسؤْهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا إن الله بما يعملون محيط** ﴾ - آل عمران / ١٢٠ - .

لقد كان هذا الخبر مفاجأة كبرى غير متوقعة لأهل المدينة ، ولذلك جاء عاصم بن عدي سرًا يستفسر من عبد الله بن رواحة عن صحة الخبر ، وجاء أسامة سرًا يستفسر من أبيه زيد عن ذلك ، لا شكًا في صدقهما ولكن من باب احتمال أن يكون الخبر نوعًا من الخداع الحربي الذي يستخدم عادة لكسب المواقف ودرء الأخطار .

* * *

٤٧ – مثل من الشجاعة وقوة الإيمان –
(أبو رافع يرد على أبي لهب)

قال ابن إسحاق : وحدّثني حُسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ [(١)] : كنت غلامًا للعبّاس بن عبد المطلب وكان [(٢)] الإسلام قد دخلَنا أهل البيت ، فأسلم العبّاس ، وأسلمت أمُّ الفضل ، وأسلمتُ ، وكان العباس يهاب قومه ، ويكره خلافهم ، وكان يكتُم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه .

وكان أبو لهب قد تخلّف عن بدر ، فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المُغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ، لم يتخلف رجلٌ إلا بعث مكانه رجلاً ، فلما جاءه الخبرُ عن مُصاب أصحاب بدر من قُريش ، كبته الله وأخزاه ، ووجدناه في أنفسنا قوة وعزاً ، قال : وكنت رجلاً ضعيفًا ، وكنت أعمل الأقداح[(٣)] : أنحتُها في حُجرة زمزم ، فو الله إني لجالس فيها أنحت أقداحي ، وعندي أم الفضل جالسةٌ ، سرنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجرُّ رجليه بشرّ ، حتى جلس على طُنُب الحُجْرة فكان ظهرهُ إلى ظهري .

---

(١) هو أبو رافع القبطي رضي الله عنه ، اختلف في اسمه اختلافا كثيرًا – الإصابة ٤/ ٦٨ رقم ٣٩١ .

(٢) في النسخة المطبوعة التي اعتمدت عليها « وكلام » والصواب ما أثبته من الروض الأنف٥/ ١٥٦ .

(٣) جمع قدح بتفح القاف والدال آنية تروي الرجلين .

فبينما هو جالسٌ إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب [1] قدمَ ، قال : فقال له أبو لهب : هلمَّ إلي فعندك لعمري الخبرُ ، قال : فجلس إليه والناسُ قيامٌ عليه ، فقال : يابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ .

قال : والله ماهو إلا أن لقينا القومَ ، فَمَنَحْناهم أكتافنا يقتُلوننا كيف شاءوا ، ويأسرُوننا كيف شاءوا ، وايمُ الله مع ذلك ما لُمْت الناس ، لقينا رجالا بيضا ، على خَيْل بُلقْ [2] ، بين السماء والأرض ، والله ما تُليق شيئًا ولايقوم لها شيء .

قال أبو رافع : فرفَعْتُ طُنُب الحُجرة بيدي ، ثم قلتُ : تلك والله الملائكة ، قال : فرفع أبو لهب يدَه فضرب بها وجهي ضربة شديدة . قال وثَاوَرْتُه فاحتَملني فضرب بي الأرض ثم برك عليّ يضْربني ، وكنت رجلاً ضعيفا ، فقامت أمُّ الفضل إلى عمود من عمد الحُجرة فأخذته فضربته به ضربة فلَعت [3] في رأسه شجةً مُنْكرة ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيدهُ ، فقام مولّيا ذليلاً ، فو الله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعَدَسة [4] فقتلته [5] .

---

(١) قال ابن هشام : واسم أبي سفيان المغيرة .

(٢) أي لونها يجمع بين السواد والبياض .

(٣) أي شقَّت .

(٤) هي قرحة مُعْدية كانت العرب تتشاءم منها .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٨ - ٣٤٠ وذكره الهيثمي من رواية الإمام أحمد وذكر أنه رواه باختصار ، قال : وبعضه مرسل ورجال غير المرسل ثقات - مجمع الزوائد ٦/ ٨٨ .

في هذا الخبر موقف لأبي رافع مولى رسول الله ﷺ في الشجاعة وقوة الإيمان ، فحينما سمع عن الذين قاتلوا المشركين على الخيل البلق بين السماء والأرض أدرك أنهم الملائكة عليهم السلام ، فأعلن ذلك بوضوح غير هياب ولامتردد ، مع أنه يعلم أن ذلك يغيظ المشركين الذين كانوا مع المسلمين في حالة حرب ، وحينما ضربه أبو لهب على وجهه لم يرض بالضيم ، بل هجم عليه بالرغم من كونه ضعيف الجسم .

وموقف لأم الفضل رضي الله عنها حينما قامت تنصر أبا رافع مولى زوجها العباس رضي الله عنهما ، فردَّت أبا لهب بغيظه لم ينل من أبي رافع ما يريد .

وفي الخبر مثل من غطرسة الكفار وطغيانهم ، فحينما تكلم أبو رافع بمتعقده الذي يراه لم يكن لدى أبي لهب من أسلوب للرد عليه إلا أسلوب العنف والقوة البدنية ، وهذا مثل من أمثلة كثيرة تقدم بعضها تدل على خواء الكفار من الحجج العقلية والأدلة البيانية ، حيث يلجئون غالبًا إلى أسلوب الكبت والحجر الفكري .

* * *

٤٨ - تاريخ غزوة بدر -

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : فكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان[١] .

وأخرج الإمام أحمد بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضين يوم الجمعة في شهر رمضان [٢] .

يعني من السنة الثانية للهجرة كما ذكرها ابن إسحاق وغيره في حوادث هذه السنة .

* * *

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٠ .

(٢) الفتح الرباني ٢١ / ٤٢ .

٤٩ - موقف لرسول الله ﷺ في الوفاء -

أخرج أبو عبد الله الحاكم من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : ما مَنَعَنا أن نشهد بدراً إلا أني وأبي أقبلنا نريد رسول الله ﷺ فأخذتنا كفار قريش فقالوا : إنكم تريدون محمداً ، فقلنا : ما نريده إنما نريد المدينة ، فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لتصيرُنَّ إلى المدينة ولاتقاتلوا مع محمد ﷺ ، فلما جاوزناهم أتينا رسول الله فذكرنا له ماقالوا وماقلنا لهم فما ترى ؟ قال : نستعين الله عليهم ونفي بعهدهم ، فانطلقنا إلى المدينة ، فذاك الذي منعنا أن نشهد بدراً .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي [١] .

في هذا الخبر مثل من اهتمام النبي ﷺ بالوفاء بالعهد والوفاء بالعهد وإن ظهر في بعض صوره مجحفًا بالمسلمين مفوتا لهم بعض الفرص السانحة فإنه بركة في جهدهم المبذول وإن قل .

كما أنه تطبيق لمكارم الأخلاق العالية ، حيث يرسم لهم صورة صادقة مشرقة أمام الناس ، فيكون ذلك سببا في تقوية الدعوة الإسلامية، وذلك في جذب الناس إلى الدخول إلى الإسلام .

* * *

---

(١) المستدرك ٣/ ٢٠١ - ٢٠٢ .

٥١ – من أشعار الدعوة والجهاد –
(نماذج من اشعار المسلمين في بدر)

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه بعد أبيات له :

إن كنت كاذبةَ الذي حَدَّثتني
فنَجَوت مَنْجَى الحارث بن هشام[1]

ترك الأحبَّة أن يُقاتلَ دونهُمْ
ونجا برأس طمرَّة[2] ولجام

تذر العنَاجيج الجياد بقفرة
مرَّ الدَّموك بمُحْصَد ورجام[3]

مَلأتْ به الفرْجَين فارْمَدَّت به
وثوى أحبته بشرّ مقام[4]

وبنُو أبيه ورَهْطهُ في مَعْرك
نصر الإلهُ به ذوي الإسلام

طَحَنَتْهُمُ ، واللهُ يُنْفذُ أمرَهَ
حربٌ يُشبُّ سعيرُها بضرام

---

(١) إنما ذكر الحارث بن هشام فقط مع أن الذين فروا من المعركة من قريش كثير لكونه من سادتهم وقد أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وكان له بلاء مشكور يوم اليرموك وغيره رضي الله عنه .

(٢) أي فرس سريع الجري .

(٣) العناجيج الخيل النجيبة ، والدَّموك البكرة التي يُستقى بها من البئر ، والمُحْصَد الحبل الذي يربط به الدلو ، والرِّجام الحجر الذي يربط بالدلو ليثقله حتى يسرع بالنزول ، والمعنى أن الفرس التي نجا عليها الحارث أسرع من ذلك .

(٤) الفرجين ما بين يدي الفرس ورجليها وارمدَّت أي أسرعت .

لـولا الإلهُ وجَـــرْيهـــا لَتـــركْنه
جَـــزَرَ الســـبـــاع ودُسْنه بحَـــوامى[1]
من بين مـــأســـور يشـــد وثاقـــه
صـــقـــرٌ إذا لاقى الأسنة حـــامى
ومـــجـــدَّل لايســـتـــجـــيب لدعـــوة
حـــتى تزول شـــوامخُ الأعـــلام[2]
بـالعـــــار والـذلّ المُبـــيَّـنِ إذ رأى
بيض السُّـــيـــوف تَسُـــوق كلَّ هُمَـــام
بيـــدَىْ أغـــرَّ إذا انتـــمى لم يُخـــزه
نسب القـــصـــار سَـــمَـــيْـــدع مـــقـــدام[3]
بيض إذا لاقت حـــديدًا صَـــمَّـــمَتْ
كـــالبـــرق تحت ظلال كل غـــمـــام

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان أيضًا :

فـــمـــا نخـــشى بحـــول الله قـــومـــا
وإن كـــثـــروا وأجـــمـــعـت الزحـــوف
إذا مـــا ألبـــوا جـــمـــعـــا علينا
كـــفـــانا حـــدهـم ربّ رؤف

---

(١) الحوامي جمع حامية وهي جوانب الحافر .

(٢) المجدل المطروح على الجدالة وهي الأرض والشوامخ الأعالي والأعلام الجبال .

(٣) أي سيد .

سمونا يوم بدر بالعوالى
سراعا ما تضعضعنا الحتوف[1]

فلم تُرَ عصبة في الناس أنكى
لمن عادَوا إذا لقحت كَشوف[2]

ولكنا توكلنا، وقُلنا
مآثرُنا ومعقلنا السيُّوف

لقيناهم بها لما سمونا
ونحنُ عصابةٌ وهُمُ ألوف[3]

قال كعب بن مالك في يوم بدر :

ألا هل أتى غسان في نأي دارها
وأخبر شيء بالأمور عليهما

بأن قد رمتنا عن قسيٍّ عداوة
مَعدٌّ معًا جُهالها وحليمها

لأنا عبدنا الله لم نرج غيره
رجاء الجنان إذا أتانا زعيمها

---

(١) الحتوف : جمع حتف وهو الموت .

(٢) أنكى أي أشد نكاية وإثخانا في العدو . والكشوف بفتح الكاف الناقة التي يقع عليها الفحل من غير اشتهاء منها .

(٣) هذا محمول على المبالغة لأن جيش قريش ما كان يزيد على الألف .

نبيّ له قومه إرثُ عزة
وأعراقُ صدق هذَّبتْها أرومها [1]

فساروا وسرنا فالتقينا كأننا
أسود لقاء لايُرَجَّى كليمها[2]

ضربناهُمُ حتى هوى في مكَرِّنا
لمنخر سوء من لؤي عظيمها

فولَّوا ودسناهم ببيض صوارم
سواءٌ علينا حلفها وصَميمها [3]

قال كعب بن مالك أيضًا :

لعمر أبيكما بابني لؤي
على زهو لديكُم وانتخاء

لَمَا حامت فوارسكم ببدر
ولاصبروا به عند اللقاء[4]

وردناه بنور الله يجلو
دُجى الظلماء عنا والغطاء

رسولُ الله يَقْدُمُنا بأمر
منَ امر الله أُحكم بالقضاء

---

(١) أرُومها أي أصولها .

(٢) أي جريحها أي لايرجى أن يشفى من جراحه .

(٣) أي من كان من صميم قريش ومن كان حليفا لهم .

(٤) لما حامت أي لم تمنع فوارسكم جيشكم .

فــمــــا ظفـــرت فـــوارسكم ببـــدر
ومـــا رجـــعـــوا إليكم بالســـــواء

فـــلا تعـــجل أبا ســـفـــيـــان وارقب
جـــيـــاد الخـــيل تطلعُ من كـــداء

بنصـــر الله روحُ القـــدس فـــيـــهـــا
ومـــيكالٌ ، فـــيـــاطيب الملاء[1] [2]

وبعد : فهذه نماذج من أشعار المسلمين التي قالوها بمناسبة انتصارهم المؤزر يوم بدر ، والشعر له مكانة عالية عند العرب ، فهو يرفع أقواما ويخفض آخرين ، ويُشعل الحروب ويطفئها .

وقد كان النبي ﷺ يحب من شعراء أصحابه أن يغيظوا الأعداء بشعرهم كما ستأتي نماذج لذلك في مواقف لاحقة بإذن الله تعالى .

* * *

(١) أي ما أطيب الملأ الذين يقودهم جبريل وميكائيل عليهما السلام .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٥٨ ٤٧٠ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
- مثل من الاهتمام بمعرفة واقع العدو	٩٦
(خبر شيخ من العرب ومولى لقريش)	
- أبو سفيان يغير اتجاه العير	٩٩
- تشاؤم قريش من رؤيا جهيم بن الصلت	١٠٠
- منزل الجيشين ببدر	١٠٣
- مثلان من إكرام الله تعالى أولياءه	١٠٥
(التأمين بالنعاس / إنزال المطر)	
- مثل من تربية النبي ﷺ العالية	١٠٩
(مشورة الحباب بن المنذر)	
- مثل من محادة المشركين لله تعالى	١١٢
(خبرهم مع ابن رحضة الغفاري)	
- مثل من تسامح النبي ﷺ مع بعض الكفار	١١٣
(نفر من الكفار يشربون من حوض المسلمين)	
- شهادة للمسلمين من أعدائهم	١١٤
(عمير بن وهب يقدِّر عدد المسلمين)	
- مثل من نصر الله تعالى أولياءه	١١٩
(تقليل الكفار في أعين المسلمين)	
- موقف جهادي لحمزة بن عبد المطلب	١٢١
(خبر الأسود المخزومي وقتله)	
- مواقف بطولية لبعض الصحابة	١٢٢
(خبر المبارزة بين المسلمين والكفار)	

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مــن إصــــداراتنــا

(١) التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ١/ ٢

الدكتور: عبد العزيز بن عبد الله الحميدي.............. ٢٨ ر.س

(٢) المدخل إلى شرح السنة ١/ ٢

الدكتور: علي بن عمر بادحدح .... ٥٠ ر.س

(٣) الرؤى والأحلام في النصوص الشرعية

أسامة بن عبد القادر الريس .... ١٢ ر.س

(٤) أحكام الجوار في الفقه الإسلامي

عبد الرحمن بن محمد بن فايع .... ٣٠ ر.س

(٥) نظرات في مشكلات الشباب

الدكتور: حمزة بن حسين الفعر .... ٣ ر.س

(٦) الصفويون والدولة العثمانية

علوي بن حسن عطرجي .... ٢ ر.س

(٧) أدب الخلاف

عوض بن محمد القرني .... ٣ ر.س

(٨) همسة في أذن من أحب

عبد اللطيف بن هاجس الغامدي.................. ٢ ر.س

(٩) سلوك الأدب جمال الحياة

الدكتور: محمد بن حسن بن عقيل موسى .... ٦ ر.س